

رابطۃ العالم الاسلامي

الغزو الفكري

أهدافه ووسائله

للككتور
عبد الصمد بورمرزوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَابِطَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

الغزو الفكري

أَهْدَافُهُ وَوَسَائِلُهُ

لِلدكتور
عبد الصمد بورمرزوق

مقدمة

هذا البحث - في أصله - محاضرة ألقيتها بمبنى الامانة العامة
لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة في موسمها الثقافي لعام ٩٢/٩٣ هـ
ومن قبله ألقى محاضرة قيمة لمعالى الدكتور محمد عبده يمانى
مدير جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية بعنوان : (حماية
الثقافة الاسلامية من اخطار الغزو الفكرى) .

واذا كنت قد حاولت تبين خطط الغزاة وكشف اهدافهم . . ففى
يقينى أن الموضوع لا يبلغ غايته الا اذا وقف القارئ الكريم على (وسائل
الحماية) من هذا الغزو .

ومن هنا - فانى لأرجو أن يتسع وقت معالى الاخ الدكتور يمانى، لتقديم
بحثه الى جماهير امتنا، اكمالا للفائدة . لا سيما وانى لسم أنس ولم ينس
من استمعوا الى محاضراته ذلك الشعار الحق الذى رفعه - من موقع
المسؤولية - عن ضرورة أن يكون لجامعاتنا فى المرحلة الراهنة دور
محدد فى تخريج الطبيب المسلم، المهندس المسلم والكيميائى المسلم
والمتقن المسلم فى كل فروع المعرفة . .

كما انتهز هذه الفرصة لاناشد العلماء والمفكرين وحملة الاقلام جميعا
فى عالمنا الاسلامى كى يساهموا بجهودهم الكريمة فى كشف مخططات
الغزاة ، واقتراح ما يروونه لصد اخطارهم . .

والله من وراء القصد ، وهو دائماً حسبنا ، ونعم المولى ونعم النصير .

د . عبد الصبور مرزوق

غزو الفكر المخترع الغزو بالرجال والسلاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فى الآونة الأخيرة كثر الحديث عن (الغزو الفكرى) الذى تتعرض له أمتنا ، باعتباره الأسلوب المتطور والملائم للطبيعة عصر بات فيه أسلوب الاستعمار الاستيطانى أو الاحتلال العسكرى بقوة السلاح من الأمور التى تضر بالغزاة أكثر مما تحقق لهم أهدافهم ، لأن أبسط ما تخلفه أنها تحسرك فى الشعوب المغزوة - فى أغلب الاحوال - عاطفة الولاء للوطن وتحسرك فيهم حس العمل من أجل الاستقلال والتحرر ..

ومن هنا كان التغير الجديد فى استراتيجية الغزاة بأن يتخلوا عن استعمار الاراضى ويستعمروا - بدلها - العقول والقلوب ، وذلك بما تعرف على تسميته (بالغزو الفكرى) ..

ومن وجهة نظرنا - كأمة مسلمة تتجمع لاستعادة دورها الريادى - نعتقد أن الأسلوب الجديد - أسلوب غزو الفكر - أخطر ألف مرة من أساليب الاستعمار السابقة ، العسكرية والسياسية .. وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : أن طبيعة الدور الريادى المنوط بأمتنا - كما حدده القرآن الكريم - تقوم على العمل لتحسين البشرية من عبادة كل الطواغيت الى عبادة الحق سبحانه ، سواء تمثلت هذه الطواغيت فى السلطان المستبد ، أو فى الضعف البشرى تجاه متع الحياة الدنيا ، أو الخضوع لنزوات النفس البشرية الامارة بالسوء ، أو الالتصاق بالعنصر الطينى الهابط فى طبيعة الانسان .. وكما قال سبحانه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..)

ومن المحال أن يبلغ المسلم هذه المنزلة التى أشارت اليها الآية الكريمة الا اذا كان على منزلة رفيعة من التفوق بالايمان بالله وبالاتزام الكامل فلكر وسلكا بخصائص التصور الإسلامى للكون والحياة .. وهذا ما لا يحدث مطلقاً مع وجسود التخريب الذى يصنعه الغزو الفكرى فى العقول والقلوب ..

ثانياً : إن بلوغ المنزلة الريادية المتبار اليها يتطلب قدراً غير عادي من الاستعلاء على الحياة الدنيا بكل ما فيها بحيث لا تطرف عين المجاهد المسلم كل مغرياتها ، ويكون حسبه منها - حقيقة - لقيمات يقمن صلبه ويستعين بهن على مواصلة دوره الكبير وعلى متابعة رحلته إلى النعيم الدائم الذي ينشده في أخراه ..

وعندئذ لا تخيفه قوة الاقوياء مهما عظمت لاستناده إلى قوة الخالق الاعظم ، ولا يرهبه الموت في سبيل الله مهما كان طعمه مرًا ، لأنه معبره الكريم إلى النكريم والخلود .. ولا تهتز نفسه أمام مغريات الدنيا لأنه يراها فانية ..

وكل هذه المعاني يستحيل أن تقوم بالنفس إذا أغرقها غزاة الفكر في طوفان المتاع الحرام وفي حماسة التخاذل والضعف والانحلال ..

ثالثاً : أن نجاح أمتنا في أداء دورها يستوجب أن تتوفر لأبنائها طبيعة - غير عادية أيضاً - في إيجابيتها الدائمة لرفض كل سلوك منحرف ، وللعمل على تصحيح المواقف دائماً وتعديلها نحو الحق والعدالة والخير .. كما يدل عليه دائماً - وببساطة - تقديم الأمر بالمعروف - وهو عمل إيجابي - على النهي عن المنكر في جميع الآيات الكريمة التي وردت في هذا الموضوع في الكتاب الكريم ..

ولنا في الآية الكريمة التي أدانت قبول أي من أتباع ديننا العظيم لموقف من مواقف الاستخذاء في مواجهة الباطل واعتباره من الظالمين الذين مأواهم جهنم وذلك في قول الحق سبحانه : (**إِنَّ الَّذِينَ آتَوْاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمًا لِّنَفْسِهِمْ قَالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا : كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . قَالُوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ؟ ! قَالُوا لَكَ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**) (١) .

ومثله النهي القرآني الصريح عن الوهن وتضعيف النفوس في مواجهة أي محنة بسبب انتصار يحرزه المبطلون .. والوعيد الصريح بعلو أهل الإيمان دائماً مهما وعرت الطريق وذلك في قول الحق سبحانه مؤكداً سنته في احقاق الحق وازهاق الباطل :

(**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** . أن يمسنكم قرح فقد مس القوم - مثله - وتلك الأيام ندولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) (٢) .

١ - النساء - ٩٧ .

٢ - آل عمران ١٣٩ - ١٤٠ .

فهذا الصمود الشامخ ايمانا بالقيم القرآنية الرفيعة واستشهادا في سبيلها لا يمكن بلوغه متى أمكن للغزاة تخريب النفوس من الداخل وإفقاد المسلمين أهلينهم للنهوض بدورهم الرياضى ..

ثم ان نجاح الغزو الفكرى للعقول والقلوب المسلمة ، معناه الاجهاز نهائيا وبطريقة هادئة على كل أثر يمكن أن يصنعه الاسلام في حياة الفرد أو حياة الامة .. وذلك أقصى ما يطمح الغزاة اليه .. لأنهم يدركون سلفا مدى استعساك المسلم بدينه ، واستحالة تخليه عنه ، ومن ثم فهم يكتفون من نتائج الغزو الفكرى بأن يشلوا فاعلية الاسلام في حياة المسلم ، ويتركوه في الحبال المتعسة .. لا هو مسلم ولا هو غير مسلم ، لأن نتيجة الحسبة ستكون لصالحهم في كل الاحوال ..

ومن المعروف المشهور ، الذى يروى في هذا المعنى عن المبشر الشهير (زويمر) أنهم لما عقدوا أحد مؤتمرات التبشيرية لتقويم الجهد الذى تبذله الارسلاليات في منطقة الشرق الاوسط وشمال أفريقيا .. وقف أحدهم ليهاجم (زويمر) باعتباره المشرف المسئول عن جهاز التبشير ، وليتهمه بالفشل ، وكانت نجة هذا الرجل .. أنه على الرغم مما أنفق من مال وما بذل من جهود فانه لم يدخل النصرانية شخص واحد .. ولم تنجح الجهود جميعا في صرف مسلم واحد عن عقيدته ..

فجاب (زويمر) - وهو موطن الشاهد في الحكاية - بأن تنصير المسلمين ليس غايتنا ، لأننا لا نستطيعه ، ولكن الغاية هي أن نبعد المسلمين عن الاسلام .. وحسبنا ذلك ولو لم ينضموا الينا ..

ولنست أنسى في هذا المقام ما دار بينى وبين الانتاذ الشهيد سيد قطب رحمة الله عليه حينما وقعت اتفاقية جلاء الانجليز عن مصر بالأحرف الاولى - وكان ذلك منذ عشرين عاما - فقلت له مهنشا :

- لنحمد الله أن المستعمرين الانجليز سيخرجون من مصر ، وهذا يتيح للعمل الاسلامى حرية وفاعلية .. فقال ، رحمة الله عليه :

- لقد وقعت الاتفاقية لاجراج الانجليز الحمر ، وهؤلاء خطرهم محدود .. لكن المهم هو أن يخرج من مصر (الانجليز السمر) .. وكان رحمة الله عليه يعنى ذوى البشرة السمراء من المصريين الذين اصطنعهم الانجليز عقليا وسياسيا لحسابهم ، وتركوهم في مصر يؤدون من الادوار في خدمة أهداف الاستعمار ما لا يستطيع المستعمرون بأنفسهم أن يؤدوه ..

١ - كان هذا في شهر اكتوبر سنة ١٩٥٤ م

- ٨ -

هذا ما حدث ٠٠ !

فهؤلاء هم الذين وقفوا في وجه مصر لئلا تعود اليه ملامحه الاسلامية، وزعموا أن علاقة مصر باليونان والرومان وأهل حوض البحر المتوسط - النصراني بالذات - أوثق وأكد من علاقتها بأهلها في الجزيرة العربية ، يهدفون من ذلك الى قطع وشائجها بالدين العظيم الذي نبغ في أرض العرب ٠٠

وهؤلاء هم الذين شككوا في القرآن ، تحت ستار الحديث عن (الشعر الجاهلي)، وشككوا في صلاحية الاسلام ليكون نظاما يجمع بين الدين والدولة حينما تحدثوا عن (الاسلام وأصول الحكم) ٠٠

وهؤلاء : أيضا ٠٠ هم الذين دعوا الى نبذ التراث العربي الاسلامي بكل ما فيه ، وزعموا أنه حمل أحجار يجب التخفيف منه ، وأنه لا سبيل لنهضة مصر والعالم العربي والاسلامي الا اذا تخلوا عنه ٠٠ ١٩

ثم ان هؤلاء كذلك هم الذين شككوا في صلاحية اللغة العربية لتكون لغة علم وحضارة ، ودعوا الى نبذها ، واستخدام العامية المحلية مكانها في كل جزء من أجزاء الوطن العربي ٠٠ مع وضوح الخطر الذي يحيط بهذه الدعوة من تمزيق الوحدة من ناحية ، وقطع الطريق على المسلم حتى لا يتعرف على تراث القرآن من ناحية ثانية ٠٠

وهؤلاء كذلك هم الذين نفذ الغزاة من خلالهم كل الدعوات التخريبية الهدامة في منطقة الشرق الاوسط ، وخاصة في مصر التي كانت تمثل قلب النهضة الاسلامية ٠٠ غابى هؤلاء الا أن تخرج من مصر أخطر الصيحات المناهضة لديننا العظيم ٠٠

وعلى سبيل المثال - هؤلاء العملاء من صنائع الفكر الغازي هم الذين شككوا علانية في جدوى التضامن الاسلامي ، وحاربوا بعنف فكرة (الجامعة الاسلامية) ٠٠ ونادوا في مقابلها بالفرات الاقليمية التي ترد اهل مصر الى (الفرعونيسة) وأهل الشام الى (الفينيقية) وغيرهم الى الاشورية او البوهرية وما الى ذلك من الاعاجيب ٠٠ !

وهؤلاء هم الذين خططوا لهدم الاسرة المسلمة عن طريق الشعار الزائف الذي أسموه (تحرير المرأة) ولو كان تحريرا حقا ونظيفا لرحبنا به ، لأن ديننا العظيم أول تشريع حرر المرأة بحق من كل المهانات والاضطهاد ، وحفظ لها عفافها وكبرياءها مصونين أكمل صون ٠٠

وهؤلاء هم الذين فعلوا وفعلوا الكثير ، الذي لا تتسع له هذه العجالة
والذي يحتاج في تسجيله ورصده الى بحوث ومجلدات (١) .
الامر الذي يؤكد ما قررناه في صدر هذم المقدمة من أن الغزو
الفكري أخطر على أمتنا من الغزو بالجيوش والسلاح ، ومن كل استثمار
مهما يكن لونه (٢) .



١ - انظر في هذا : ١/ الى الشعر الجاهل لطف حسين ، ٢ - الاسلام واصول الحكم
لكلى عبد الرازق ٣ - تاريخ الدعوة الى العالمية الى مصر للدكتور نفوسة وكرتيسا
٤ - الزحف على لغة القرآن لاجماد عبد القفور عطار ٥ - حصوننا مهددة من الداخل د. محمد
محمد حسين ٦ - التبشير والاستعمار د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ ٧ - تحت
راية القرآن للراعي ٨ - اعمال الهالكين : سلامة موسى وفرح انطون و شبل شميل ،
وغيرهم .. وغيرهم .

٢ - وانظر كتابي : تحرير المرأة ، المرأة الجديدة لقاسم امين ، ثم انظر كتابي نفس
الفكر الديني - المعنوي وكتاب تحديث العقل العربي لحسن صعب . .

مآذو الغزو الفكري

لماذا الغزو الفكري ٩٠٠

ولعل من الضروري قبل أن نمضي في حديث الغزو الفكري ، أن ننبه الى حقيقة ذات أهمية بالغة في هذا الموضوع ، وهي أن أعداءنا بعد محاولاتهم الكثيرة والمريرة لاجتثاث هذه الدعوة ومحو آثارها من الوجود بكل ما عرف في تاريخ الصراع بيننا وبينهم عبر الزمن ، ابتداء من تحزب الاحزاب يوم (الخندق) وما صحبه من تأمر اليهود في قريظة وبنى النضير وغيرهما ، وانتهاء بتعطيم الرمز الذي كان باقيا لدولتنا الاسلامية ممثلا في خلافة آل عثمان ٠٠ وما تبع ذلك من بسط النفوذ الصهيوني الصليبي على المسلمين أرضا وشعبا في كل مكان ٠٠

أقول : ان أعداءنا بعد محاولاتهم المريرة هذه ، وبعد ما أحرزوه في الكثير منها من انتصارات سياسية وعسكرية قد عجزوا - وما يزالون - عن اجتثاث جذوة هذا الدين والفراغ من أمره ٠٠

وفي كل مرة يتصورون فيها أن المعركة كانت مع الاسلام فاصلة ، وأنهم قد انتهوا من أتباعه ومنه ، يخرج عليهم دعاة الحق ليقولوا لهم : نحن هنا ، وان الاسلام ما زال حيا وقادرا على الاستمرار والتأثير ، وتوجيه أتباعه لمجاهدة الباطل ٠٠

حدث هذا بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه ، حين أشاع المرتدون أن وفاة النبي قد تعنى نهاية دعوته ، ومنعوا الزكاة وظهر بينهم ادعاء النبوة ٠٠ وتوهموا آنذاك أن الدعوة يمكن أن تنتهي ، فإذا الخليفة الراشد يواجههم بكلماته الشهيرة :

(من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ٠٠ ومن كان يعبد الله فإنه الله حي لا يموت) ٠٠

ثم يجرد لهم من بأس الله جيوشا تذهل الأعداء ، وتعلي راية الاسلام ٠٠



وحدث هذا بعد الضربة الخطيرة التي أنزلت بالمسلمين على يد التتار حين سقطت بغداد في أيديهم سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م وأجذت الجحافل الغازية تتوسع في أرض المسلمين ، حتي لكان من المستحيل أن يمتنع عليها شيء ٠٠ وخيل للأعداء جميعا أنها نهاية الاسلام ٠٠ ومع هذا تحرك

الاسلام ودفع باتباعه ليمنعوا تدفق الطوفان ..

وحدث هذا بعد ما امتد الزحف الصليبي على ديار المسلمين ، وخيل للغزاة أنهم قد فرغوا من أمر الاسلام وقال قائليهم : (الآن انتهت الحروب الصليبية ..)

واذا هم بعدها يفاجأون بالروح الاسلامي الكامن يحرك أتباعه للانتفاض والثورة على الغزاة في كل مكان ..

وحدث مثله في دولة الخلافة العثمانية بعد ما عزلها أتاتوك نهائيا وبعتق عن عالم المسلمين ، وتوهم كثيرون أن الاسلام يوشك هناك أن يختنق ، وإذا الايام تكشف عن حيوية الروح الاسلامي الذي يتشط أتباعه اليوم ليطالبوا بإعادة النظر في الكثير مما حدث ..

وآخر ما دهش اليه الاعداء وفرغوا منه أنهم بعد الاستعمار الصليبي لأحد أقطار الاسلام ثلاثين ومائة عام - وأعني بهذا الجزائر - وبعد استيلائهم على كل شيء وسيطرتهم بالفكر والتطبيق على مصير هذا الشعب المسلم ..

بعد ثلاثين ومائة عام قاجأهم الاسلام يزحف من الريف والجبل ، ويفرض على الغزاة أن يرتحلوا ، وتخرج العجائز محجبات يهتفن :
(مبروك يا محمد عليك .. الجزائر رجعت اليك) .. يعنون محمدا رسول الاسلام صلوات الله عليه ..

والامثلة في هذا الباب لا تكاد تحصى ، وكلها تثبت للأعداء والاصدقاء أن هذا الدين قد جاء ليبقى ، وأن الضربات القاصمة التي أنزلت باتباعه لم تضربهم عنه ، ولم تكتب نهايته ، بل هي على العكس من ذلك تزيد توهجا في نفوسهم ، وتحرك فيهم وازع العمل لنصره واعلاء كلمته ..

وإذا كان الاعداء تأخذهم الدهشة من أمر هذا الدين الذي لا يريد مع كل ما بذلوه لقتله - أن يموت - فما ذلك الا لرفضهم الايمان بما آمنوا به من أن هذا الدين انما جاء ليبقى وينتصر وليكون مصدقا لما سبقه من كتب الله ومنهينما عليها وأنه مخفوض بأمر الله ، رضى الآخرون أم كرهوا ، وذلك على ما يقرره مثل قول الحق سبحانه :

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره

ولو كره الكافرون + هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٥٠) (١)



وإذا كان الاعداء لا يريدون أن يؤمنوا بأن الاسلام جاء ليبقى وينتصر كما هو وعد الله ، فانهم لم يستطيعوا اغلاق أعينهم وأفئدتهم عن أثره الخطير في أتباعه ، وكيف أنه يخلق فيهم - متى التزموا بمنهجيه - طاقات نضالية غير عادية تجعل خطوات الباطل على الطريق حافلة بالمصاعب والمشقات ، كما أنها - وهو الأهم - تفسد على الغزاة أطماعهم الاستعمارية والاستغلالية في الأرض الاسلامية وربما في غيرها ••

لم يستطع الغزاة اغلاق أعينهم عن هذه الحقائق ، بل خرجوا منها - بالاقتناع الكامل بأن الاسلام لو خلى بينه حقيقة وبين المسلمين لما اقتصر تأثيره في تحويلهم من الضعف إلى القوة ، بل لاصبحوا بالاسلام خطرا جارفا يهدد هؤلاء الغزاة الطامعين في عقر ديارهم ••



وفي هذا المعنى نذكر بالكلمة الخطيرة ذات الدلالة البالغة ، والتي يجب دائما أن تبقى نصب أعيننا - نحن المسلمين - وهي التي قالها المستر (غلادستون) وزير بريطانيا الأول وأحد المؤسسين الكبار للاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط :

يقول غلادستون :

(ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق •• بل ولا أن تكون هي نفسها في مأمن) ••

ويقول القس الاستعماري (سيمون)

(ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ، وتعتبر عن أمانيتهم ، وهي التي تساعدهم على رفض السيطرة الأوروبية والتخلص منها) ••

ويقول (لورانس براون) :

(ان الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع

والاخضاع وفي حيويته ، انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوروبى
ثم يقول :

(اذا اتحد المسلمون فى امبراطورية واحدة أمكن أن يصبحوا لعنة
على العالم) ١٩

هكذا يعميه حقه عن الاعتراف بفضل الاسلام على الحضارة الاوروبية
خاصة وعلى الانسانية كلها فى كل مكان رفرت عليه راية الاسلام ؟ !
أما اللورد المتعصب (كرزون) فيقول :

(ان أمواج التبشير تضرب عبثا فى حائط الاسلام الصخرى الذى
لا يهدم ، حيث أنه نظام شامل لكل ناجية ، ووافق لطقس وعوائد
وأعمال أهل البلاد التى وضع عليها بيده الحديدية - ١٩ - وأتباعه
يخضعون لنظامه مأسورين من المهدالى البجد) ..



وخلاصة هذا وأمناله تؤكد لنا بكل وضوح أن أعداء أمتنا يدركون
مصادر القوة الكامنة فى ديننا الاسلامى العظيم ، ويقدرّون خطرها ، ربما
أكثر مما نقدره نحن فى أغلب الاحيان .. ومن هذا المنطلق كانت
مخططاتهم لمحاربة الاسلام ..



ومما يجدر الانتباه اليه أن ما نقلناه من أقوال المشرّين أو رجال
الفكر والسياسة من الغربيين إنما يمثل - فى الصميم - موقف كل
القوى المعادية للإسلام ، سواء فى ذلك الاستعمار أو الشيوعية ، أو
الطاقة العدائية المحركة لهما جميعا وأعنى بها الصهيونية ..

فهذه الجبهات - على ما قد يبدو بينها من عداء ظاهرى ، أو تنازع
على المصالح ، أو تعارض فى بعض وجهات النظر السياسية .. إلا أنها
جميعا - وبلا استثناء - تتخذ من الاسلام موقفا موحدا فى معاداته ،
وتتعاون جميعا فى العمل على تصفيته والقضاء عليه ، باعتباره - كما
يؤمنون - الخطر الذى يهددهم والعقبة التى تحول دون أطماعهم
المشتركة فى السيطرة على الكون وتحويله من عبادة الرحمن الى عبادة
الطاغوت ..

ومن أعماق هذا الإدراك الصحيح لتأثير روح الإسلام في أتباعه وكل من يدين به ..

ثم ، من أعماق التجارب الكثيرة الفاشلة ، التي استخدمت فيها قوة المال والسلاح ، ومورست فيها كل أساليب القمع لاختماد جذوة الإسلام في نفوس المسلمين ، فلم يزد هم ذلك الا اعتصاما بها والتفافا حوله .. وأخيرا من أعماق مفاجآتهم بالنتائج المضادة لكل أساليب المواجهة ، التي كانت تزيد جذوة الإسلام في النفوس اشتعالا ..

من أعماق هذا كله ، كان تحركهم القديم والحديث صوب الغزو الفكري ..

وربما قيل : إن هذا الغزو الفكري قد مورس ضد الإسلام منذ بعيد ، ومع هذا فقد بقي الإسلام وسيبقى باذن الله ، وإذا فلا داعي للقلق ..

ربما قيل هذا - وهو حق - لكن طبيعة العصر الذي نحن فيه ، وما طرأ عليه من وعي الشعوب وحساسيتها ورفضها للغزو المسلح .. جعل (الغزو الفكري) هو الأسلوب الأكثر ملاءمة لتحقيق الأهداف ذاتها دون اراقة دماء ، ودون اضطراب الى استخدام الجيوش ..

فبالغزو الفكري تتم خديعة الشعب المظموح فيه عن حقيقته وعن أهدافه ، وتنعدم أمامه الرؤية الصحيحة للأحداث والحقائق ، فبئسلا يحسن التمييز بين عدو وصديق ..

وهذه هي أكثر الحالات ملاءمة لاحتوائه بهدوء في القبضة الغازية ..



اهداف الغزو الفكري

الهدف الأول:

منع روم اللامعة من الانسداد
خارج دنيا المسلمين

وحتى لا تكون الكلمات معلقة في الفراغ ، ينبغي أن نأخذ في عرض هذا الموضوع الخطير ، وتوضيح أبعاده على نحو منهجي نبتعد فيه - وبإصرار - عن الكلمات الرنانة والمواعظ الخطابية ، وندع الحقائق وحدها كي تضع بين يدي القارئ الكريم صورة للموضوع من كل جوانبه حتى يقف على خطر الكارثة التي تهددنا ونحن ننام بالفعل فوق برميل من البارود ..



وهنا نسأل أنفسنا : إذا كانت لكل عمل أهدافه وغاياته ، فما هي دوافع الغزو الفكري الذي يمارسه الأعداء ضدنا وما أهدافه ؟
والجواب الذي يؤكد استقراء التاريخ وملاحظة الحوادث هو أن أهداف الغزاة تتركز فيما يأتي :

الهدف الأول منع روح الاسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين :

وأعنى به الحيلولة دون تصدير مبادئ الاسلام الحق الى الخارج .. وذلك لأن الاسلام - وهم يعلمون هذا جيدا كما سبقت الإشارة - هو الدين البسيط في مثاليته وفي واقعيته ، وهو الذي يتفق والفترة الانسانية التي فطر الله الناس عليها :

(ان الدين عند الله الاسلام) (١) .. (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة) (٢) .

ومن هنا تسرع النفوس في الاستجابة اليه متى خلى بينها وبينه ..
والاسلام من ناحية ثانية هو الدين المثالي الذي حرر الانسان - حقا وصدقا - من كل الضغوط التي تلغى شخصيته وتهـدر وجوده وكرامته كإنسان ، وتسمح له بل وتطالبه أن يتعامل مع الآخرين - مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية - معاملة الفد للند ، أو معاملة الاخ مع أخيه : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (٣) .

١ - آل عمران ١٩ .

٢ - البقرة ١٣٨ .

٣ - الحجرات ١٣ .

والاسلام قبل هذا - أو بعد هذيم هو الدين الأعظم والاكمل الذى يستطيع أن يجتاز بالانسان مرحلة التناقض بين الفكر والسلوك ، ويعبر به حالة التذبذب بين العبادة والعمل وحالة التمزق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ..

الاسلام وحده الذى حقق التوفيق بين هذه التناقضات ، وأتاح للانسان فى ظل تعاليمه - أن يكون من أعظم العاملين للآخرة ولمرضاة ربه ، فى الوقت الذى يكون فيه غارقا فى شئون الدنيا حتى أذنيه .. على نحو ما قال سبحانه : (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا . وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ**) (١) وكما قال سبحانه : (**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**) (٢) .. وكما قال صلوات الله عليه بمأمنه : « **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** » .

الاسلام بهذا هو الدين الأعظم والاكمل الذى فتسح أمام الانسان الطريق الواقعى والممكن لممارسة حالة الارتقاء من وهدة الطين الى عوالم الخير والعدالة والحق ..



وهذه الميزات التى اختص بها ديننا الاسلامى العظيم .. هى نفسها التى تؤرق مضاجع هؤلاء الغزاة .. لأنها تكشف باطلهم من ناحية ، وتظهرهم أمام شتى شعوبهم وأمام الامم التى يظفون فى الاستيلاء عليها بمظهرهم العدوانى الحقيقى ، ومن ثم تهدد مخططاتهم جميعا بأبلغ تهديد ..

فأعداء الاسلام - الذين هم فى الوقت نفسه أعداء الحق والخير - يريدون عالما أعمى كأنه عالم من العجاويز يقاد من أذنيه ، ويضحك عليه الجزار بحزمة من البرسيم قبل أن يحتز عنقه بالسكين ..

هم يريدون شعوبا تعاملهم معاملة العبيد ، فتقبيل منهم ما يعطونها ، وتصبر على كل ما يتزلوله بها من ظغيان أو استبداد ، وتكذب ليلا ونهارها لكى تنتفخ الخزائن فى مصارف المرابين ..

هم يريدون شعوبا يكون همها الاول والاخير أن تجد لقمة الخبز ، ولا بأس بعدها أن يساقوا بالملايين الى ميادين الحرب والهلاك خادمة في النهاية لتجار الدماء ..

يريد الغزاة كل ذلك ، ويعملون له ..

فاذا جاء الاسلام ليسوى بين الناس ، ويرفع القداسة عن المخلوقين ويستبقها للخالق وحده .. واذا جاء ليحرر العبيد من قبضة النخاسين .. فهذه عندهم كارثة يجب العمل للمحيلة دون حلوثها ..



والاعداء في تقدير هذا لخطر الاسلام عليهم لا ينطلقون من الفكر النظري المجرد ، وانما يؤسسونه على ملاحظة الواقع ، ومتابعة مسيرة هذا الدين وأثره في معتنقيه منذ ظهوره ..

فقد أكدت لهم خبراتهم السابقة مع الاسلام أنه بالفعل يمكن أن يكون خطرا عليهم وأن يهددهم ، فالمسلمون فعلا قد استطاعوا يوما أن يسيطروا على الدولتين الفارسية والرومانية ، وأن يحرروا من كانوا فيهما من البشر ، ويقوضوا أركان الطغاة ..

والمسلمون يوما قد استطاعوا أن يعبروا البحر الى شبه جزيرة الاندلس وأن يجتاحوا معاقل الاعداء ، ويقيموا فيها المساجد ، واستطاعوا قبل هذا أن يعرضوا على الناس صورة لم يروها من قبل لهذا الدين العظيم ، واذا الآلاف من المقهورين والعبيد يجدون فيه خلاصهم وينضوون تحت لوائه ..

أعداء الاسلام في الغرب رأوه ذات يوم يدق عليهم أبوابهم ويضيء مشاعل الهداية والنور في البقاع التي كانوا يحرسون على أن تبقى في الظلمة والجهالة ..

واذا ، فهم يعرفون جيدا أن الاسلام يمكن أن يحرر العبيد من قبضتهم ، ويمكن له أن يضع حد الطغيانهم واستبدادهم بالناس ، وهذا بالنسبة لهم كارثة ، لأن أخوف ما يخافه المجرمون عادة أن يفضح اجرامهم أمام قاض عدل ..

ومن هنا كان الجزء الاول من استراتيجيتهم أن يحاولوا حصر الاسلام داخل ديار المسلمين وأن يعملوا بكل الطاقات لوقف انتشاره خارج هذه الديار ..

وكانت لهم في ذلك وسائل متنوعة تقسم أولا وأخيرا على تشويه حقائق الاسلام واطهار أتباعه في أسوأ صورة ، ومن هذه الوسائل :

١ - نشر الاباطيل حول شريعة الاسلام :

ومن هذه الاباطيل الزعم بأن القرآن لم ينزل على نبينا صلى الله عليه وسلم من عند الله ، ولكنه افتراء وتقوله . . . وهي فرية قديمة نطقت بها أفواه المشركين منذ صدر الدعوة ، ورد عليها القرآن الكريم في أكثر من عشرين ومائة آية من كتاب الله توزعت بين التقرير الصريح بأن القرآن : **تنزيل من الرحمن الرحيم (١) . . . و : تنزيل من رب العالمين (٢) و : بالحق أنزلناه وبالحق نزل (٣) . . .** أو بين الرد المباشر على مزاعم القوم والذي أخذ أحيانا شكل شهادة ربانية بصدق الرسالة والرسول تسقط أمامها كل الاباطيل كقوله : **لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزل له بعمله والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا . . . (٤)**

وفي مواقف أخرى أخذ الرد القرآني على هذه الفرية جانب تحليل دوافع القوم الى مثل هذا الافتراء ، وبيان أن حقدهم الشخصي على صاحب الرسالة صلوات الله عليه واستكثارهم أن يختص من بينهم بالرسالة ، هو دافعهم ما يفترون ، وذلك فسي مثل قول الحق سبحانه : **. . . وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا . . . (٥)** وقوله : **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . . . ا هم يقسمون رحمة ربك . . . (٦)**



ومن الاباطيل التي روجها الاعداء في مجتمعاتهم ، ثم صدروها الى ديار المسلمين من بعد ، تلك الفرية التي زعموا فيها ان الاسلام ليس سوى اقتباس من كثير من الشرائع والديانات السابقة ١٩

١ - فصلت ٢

٢ - الواقعة ٨٠

٣ - الاسراء ١٠٥

٤ - النساء ١٦٦

٥ - المائدة ٦٤، ٦٨

٦ - الزخرف ٢٣ و ٢٣٣ ، ثم انظر « المعجزة الكبرى : القرآن » للمرحوم «محمد أبو زهرة»

والهدف من وراء ذلك واضح وهو محاولة صرف أنظار أتباعهم عن التأثير بهذا الدين أو حتى عن مجرد النظر فيه ، بدعوى أن ما جاء فيه موجود عندهم ..

ولا يعني هنا الرد على هذه المفتريات التي برع في نسجها لفيف من المستشرقين من أمثال جب وجولدزيهر و شاخت و دوزي وغيرهم ، فقد نصدي لها غير واحد من علماء المسلمين وكشفوا فيها عن وجوه الزيف والخطل وفساد الطوية وسوء القصد (١)

والما يعني تأكيد ما أشرت إليه من أن هؤلاء القوم كانوا يخشون الإسلام ويخافونه على أنفسهم وعلى مصالحهم وعلى فكرهم الباطل أن تزهقه أشراقة الحق ، فاتخذوا من مثل هذه المفتريات سبيلا إلى منح أتباعهم من التعرف على هذا الدين ..



٢ - تبصير مظاهر الضعف في ديار المسلمين وحملها على الإسلام :

ولكى يحول الأعداء بين أتباعهم وبين الاتصال بهذا الدين العظيم والتعرف على خصائصه ، حاولوا بتخطيط أواع أن يلصقوا بالإسلام كل الأخطاء والانحرافات التي كان يتورط فيها بعض المسلمين . وكانوا بوسائلهم المختلفة يضعون صورة المجتمع الإسلامي في أسوأ ظروفه السياسية والاجتماعية ، يضعونها تحت أعين أتباعهم ويقولون لهم : هذا هو الإسلام .. ولقد نتج عن هذا أن كانت الصورة الشائعة - وما تزال عند كثيرين من الغربيين حتى اليوم - أن كلمة مسلم تعني التخلف والغيبية والعجز وعدم الصلاحية لممارسة أي دور حضارى ..

ولحن لا ننكر أن دولتنا الإسلامية قد تغرخت في العصور المتأخرة لحالة جزر سياسى شديد قعد بها والمسلمين جميعا عن دورهم الكبير ، وأفقدتهم - كما يقولون - مكانهم الحق في قيادة الحضارة بمفهومها الحديث ..

٢ - انظر على سبيل المثال تهمات حول الإسلام للاستاذ محمد قطب حقائق الإسلام والباطل خصومه للاستاذ العقاد ، الإسلام في نظر المستشرقين للدكتور إبراهيم اللىان ، دراسات في تكوين الحديث النبوى للدكتور محمد مصطفى الاعظمى ، مفتريات على الإسلام للاستاذ احمد محمد جمال .

لا ننكر هذا لأنه الواقع .

لكننا ننكر أشد الإنكار أن يكون الإسلام هو المسئول عن ضعف المسلمين أو عن تخلفهم في أي مضمار ..

بل التبعية الكبرى تقع على المسلمين أنفسهم ، لأنهم تخلوا عن الاسلام فنخلي عنهم نصر الله ، ولم يعودوا أهلا لتحقيق وعده لهم (١) .



وأبسط الأدلة على أن هذا التخلف عيب المسلمين وليس عيب الاسلام ، ما يسجله التاريخ ولا يستطيع واحد من الأعداء أن ينكره من مقدرة الاسلام الخارقة على صناعة أعظم النماذج البشرية رقى في تاريخ البشرية كلها على الإطلاق ..

رقيا في الفكر وفي السلوك ، وفي صحة التصور لموقف الإنسان من الكون والحياة .. وكل هذا مع مرونة زائفة وتفتح عجيب على أسرار الوجود ..

وانى لأتحدى الأعداء جميعا أن يكون في تاريخهم رجل كونه أفكارهم ومعتقداتهم ، كما صنع الاسلام نموذج عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ..

ذلك الرجل الذى كان في جاهليته يعيش لاهيا شديدا لباس كما يعيش أى آدمى يملك عنفوان القوة فلما هداه الله للإسلام كان من أروع النماذج في تاريخ الإنسان حزمًا وعزما ومرونة وسعة أفق وعزوفًا عن الدنيا وتواضعًا أمام الحق ، وتأثيرًا في الدنيا كلها من حوله ، تأثيرًا كان وسيبقى ما بقى التاريخ ..

وإذا كنت لقد أشرت الى ابن الخطاب رضى الله عنه فليس ذلك باعتباره النموذج الاوحد ، لكنه النموذج الأشهر ، والا .. فكل الذين دخلوا في دين الله - وخاصة في الصدر الاول لل دعوة - كانوا - بالاسلام - من أرقى نماذج البشر ..

١ - انظر : «أخسر العالم بانحطاط المسلمين للاستباز» : «أبو الحسن الندوى»

ثم ان أثر الاسلام في اتباعه لا ينتهى عند صناعة النماذج الفردية ، ولكنه استطاع في الزمن المحدود جدا أن يصنع من رعاة الابل والتشاء قادة وسادة وحكام امبراطورية مترامية كان لها شأنها العظيم ذات يوم ..

واستطاع علماء المسلمين ومفكروهم أن يسهموا بجهد لا يمكن اغفاله في تاريخ الحضارة وتاريخ الفكر والعلوم الى الحد الذي كان له تأثيره الكبير في تاريخ أوروبا نفسها حتى زمن غير بعيد ، حيث كانوا يتلقون معارفهم في مختلف الثقافات والعلوم عن الاساتذة المسلمين ..

وعلى هذا ، فالاسلام - اذا مارسه المسلمون على وجهه الحق - يصنع منهم العجائب أفرادا وجماعات كما تنطق التجارب السابقة والناجحة ..

أما اذا تخلوا عنه وتعرضوا للتخلف والانحدار ، فالذنب ذنبهم وليس ذنب الاسلام ، وهذا ما يسلم به الاعداء جميعا ويدركونه في أعماقهم ، لكنهم - كما أشرت - يحاولون أن يشوهوا صورة الاسلام حتى تفقد اغراءها وتأثيرها على أتباعهم ، ومن ثم يحملون على الاسلام - بالباطل وبالتضليل - أخطاء المسلمين ..



١ - تصوير الاسلام على أنه دين العنف والدماء :

وهذه الفرية قد استخدمها الاعداء ضد الاسلام مرتين بخبث وذكاء (١) :

مرة حين احتاجوا اليها ليخيفوا أتباعهم من الاسلام ويستنفروهم ضده فصوروه لهم على أنه الدين الذي لايسير الا بالسيف ، والذي يحول أتباعه الى متوحشين وقتلة .. وقد أثمرت هذه الفرية ثمراتها في سجل العدوان الطويل الذي وفد علينا بالحقد والويلات من الغرب ، والذي عرف تاريخيا باسم (حرب الصليب) ..

ومن الغريب أنه بعد أن أخذت الحرب الصليبية أشكالا أخرى في عصرنا الحاضر تختلف عن تلك التي كانت لها في العصور القديمة ..

١ - انظر : معالم الطريق للشهيد سيد قطب . الفصل الخامس بقضية « الجهاد » .

من الغريب أنهم - وهم العادون - ما يزالون في حرصهم على اشعار قومهم بأن الاسلام مصدر خطر ، لأنه الدين الذى يقسر العنف ويبيح رؤية الدماء بدليل قطع يد السارق ورجم جم الزانى باحصسان ، وضرب عنق القتاتل ..



والمرة الثانية التى استغلوا فيها حكاية (الاسلام والسيف) هذه كانت موجهة الينا .. الى المسلمين فى قلب ديارهم لكى يتحولوا بهم من أهل رسالة عمادها الجهاد الى أمة حسبها من الغنيممة الاياب لو استطاعت أن نظفر به ..

وكانت هذه النقطة فى التخطيط المعادى - نقطة التركيز على حكاية السياف والاسلام من أهم ما جرى الاهتمام به عندهم ، لأن غايتها هى ابطال العمل بفريضة الجهاد فى الاسلام ، وهى العماد الاساسى الذى لا يمكن للمسلمين أن يمارسوا دورهم فى الحياة بدونه ..

ولقد نجحت - الى حد ما - حملة الاعداء وتركيزهم على حكاية انتشار الاسلام بالسياف ، حتى كونت بين بعض المسلمين من ظن أن الجهاد فى الاسلام أمر يحتاج الى تبرير ، فانتشر القول بأن الجهاد فى الاسلام لم يكن الا للدفاع ، وهذه أول ثمرة جناها الغزاة من حملتهم المركزة على الاسلام فى هذه الناحية ، لأن الجهاد يمكن أن يكون دفاعا ، ويمكن أن يتم ابتداء لنسر دين الله والتخليصة الصحيحة بين الخلق وعبادة الخالق ..

ولم يكتف الغزاة بهذا الكسب ، بل صنعوا مجموعة من المخرابين ، الذين يظهرون انتسابهم الى الاسلام ثم يسبسون مع هذا فى مخطط العدو ويتبنون أهدافه فى هذه النقطة التى هى الغاء فريضة الجهاد ، وعلان الاستسلام للغزاة وموالاتهم ..



وكان أبرز نموذج لهذا اللون ما ظهر على يد (الميرزا غلام أحمد) ، داعية النحلة الكافرة المسمومة بالقاديانية ، وفى هذا يقول هو نفسه :
(لقد قضيت معظم عمري فى تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها)
(وقد ألفت فى منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الامر الانجليز من

الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها الى بعض للأخمين خزانة ، وقد نشرت هذه الكتب جميعا في البلاد الغربية ومصر والشام وكابل (١)

ويقول في موضع آخر :

(ولقد ظلمت منذ حادثة سني - وقد ناهزت الستين اليوم - أجاهد بلسماني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية ولما فيه خيرها والعطف عليها . . . وأنادي بالغاء فكرة الجهاد التي يدّين بها بعض جهالهم - هكذا ! - والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة) (٢) .

ولئن أطيل الوقفة هنا أمام مثل هذه النحل الهدامة من القاديانية أو البابية أو البهائية أو الماسونية أو غيرها ، فسوف نعترض لذلك في موضعه من هذا البحث ان شاء الله . . .

وحسبي ما نقلت من هذا النموذج الذي يؤكد أولا علاقة هذه الحركات الهدامة بقسوى الاستعمار الصليبي المغادية للإسلام . . . ويؤكد قبلها ما أشرت اليه عن طبيعة المخطط الذي يعمل بكل الوسائل لحصر خطر الإسلام - كما يدعون - داخل الحدود الإسلامية سنوء عن طريق تخويف غير المسلمين من الإسلام ، أو تكوين جماعات تنسب الى الإسلام كي تنادي بإبطال فريضة الجهاد ، وصولا الى الغاية نفسها كما رأينا . . .



ويتصل بخرص الغزاة على تنفير أتباعهم من الإسلام استنفارهم ضد من طريق تصوير بأنه دين العنف والقسوة والدماء . . .

يتصل بهذا - غير ما سبق - ما أكتروا القول فيه حول مسألة الحدود في الإسلام كرجم الزاني باحصان ، وقطع يد السارق وغيرها . . .

ونحن في البداية لا ننفي أن العقوبة فاسية ، بل نقر أنها كذلك ، ويجب أن تكون كذلك . . . ومن المعلوم أن الجرائم ذات العقوبات المحددة لكمس (٣) :

١ - من ملحق كتاب شهادة القرآن الطبعة السادسة ص ١٠ عن كتاب «ماهي القاديانية» للاستاذ المؤدودي ص ١٢

٢ - المصدر السابق

٣ - انظر : الندوة العلمية بين فريق من كبار علماء المملكة العربية السعودية وبين فريق من كبار رجال القانون والفكر في أوروبا حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام . نشر بوزارة الاعلام السعودية سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م

١ - جريمة القتل .

٢ - جريمة السرقة .

٣ - جريمة الزنا .

٤ - جريمة القذف (اتهام المحصنات والمحصنين بالزنا) .

٥ - جريمة الإساءة الى الامن العام أو (السعى بالفساد فى الارض) .

ولسنا بحاجة الى مناقشة فلسفة العقوبة لآزاء هذه الجرائم ، لأننا مقتنعون الى درجة الايمان بعدالة التشريع الاسلامى ومنايسته فى تحقيق الغرض التى شرعت من أجله الحدود والعزيرات فى الاسلام ..

لكن ما ننبه اليه هو النتائج المقارنة بين الآثار الطيبة التى يتركها تطبيق التشريع الاسلامى فى البلاد التى تلتزم به ، وبين الفوضى الشاملة فى البلاد التى تعمل بالتشريعات الوضعية ..

فمن الثابت حسب الاحصائيات الدولية المنشورة أن أقل نسبة تمارس فيها الجرائم المشيار اليه فى العالم إنما هى فى البلاد التى تطبق الحدود الاسلامية ..

وليس معنى هذا أن مجتمعات المسلمين هى مجتمعات ملائكة !؟ كلا ولكن معناه أن نوازع الشر فى الانسان لا تستطيع أن تعربد فى المجتمعات التى يحكمها التشريع الاسلامى كما تسرح وتمرح فى مجتمعات الحضارة الحديثة ، سواء فى الغرب أو فى الدول الشرقية التى تجتدى بالغرب ..



ومن طريف ما يذكر فى هذا الشأن ما قرره أحد أعضاء ندوة الشيايب الاسلامية العالمية التى عقدت بمكة المكرمة فى موسم الحج ٩٣/٩٢ هـ . وهو من المسلمين المليونين فى أمريكا ، أنه حين هم بمغادرة الفندق الذى كان ينزل به . سألته زوجته - وهى أيضا أمريكية ملونة - كيف يدعها ويحدها وهو الذى لم يفعل ذلك منذ تزوجا فى أمريكا ؟

فقال لها : لا تخافى نحن هنأفى بلد الاسلام ، ولن تجدى أبدا من يحاول العدوان عليك أو إخطأفك . كما يحدث هناك - بل حتى ولن تجدى من يجرؤ أن يخذس حياءك بكلمة ..

وأقامت السيدة طوال موسم الحج وهى تروح وتجيء وحدها أو مع قرينها ، وهى فى الحالىن موضع الاجلال والاحترام ..

ومن الاشياء ذات الدلالة كذلك فى هذا الشأن ما ذكره الوفد
السعودى فى الندوة العالمية المشار اليها سابقا ما نصه (١) :

(ان وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية المستر روجرز ، قد
استطاع فى زيارته للمملكة العربية السعودية عام ١٣٩١/١٣٩٢ هـ -
الموافق ١٩٧١/١٩٧٢ م . قد استطاع ومرافقوه أن يتخلوا عن سياراتهم
المصفحة ، التى رافقتهم فى طائرات خاصة أثناء زيارتهم لأكثر من
عشر دول ..

(وفى المملكة فقط رفضت الدولة قبول انتقالهم فى هذه السيارات
المصفحة ..

(ولم يتم المستر روجرز نفسه زيارته حتى تخلى أخيرا عن حرس
الشرف ، الذى يصاحب عادة ضيوف الدولة من الاجانب ونزل الى السوق
وحده ، وبدون حراسة ، وقال روجرز :

(هنا وفى هذه البلاد فقط يشعر الانسان بالامان وبالاستغناء عن
الحراسة) ..



ان أثر الحدود الشرعية فى تحقيق الامان وصيانة المجتمع ، أصبح
اليوم بالتجربة والمعاناة لا يحتاج الى بيان ، ويلمسه العالم كله ويشهد
به ..

ولولا التعصب المقيت لما ترددوا فى الدعوة الى الاخذ به ، لكن الامر
عندهم لا يمضى بمنطق العقل والموضوعية ، وانما تحركه المصالح
الاحتكارية والاستغلالية المسيطرة على مقدرات الشعوب الغربية جميعا
بالمفهوم الواسع لكلمة الغرب ، كما تحركه القوى المستورة والظاهرة
للمسيونية العالمية ، التى تحرص دائما على ابقاء العالم مشدودا الى
مشاعر القلق والخوف واقتتاد الطمأنينة والامن .. على ما نعرض
له بعد ..

ومن هنا كان تشهيرهم المفضوح بالاسلام ..

٤ - تصوير مزايا الاسلام على أنها عيوب :

ويتصل بخطة الغزاة في منع الاسلام من الانتشار خارج الحدود ،
والحيلولة بينه وبين أتباعهم ، يتصل بهذا سعيهم الدائم لانتقاص التشريع
الاسلامى وابراز محاسنه فى صورة عيوب ونقائص ..

فموضوع الطلاق وتعدد الزوجات الذى يعتبر - بكل ما يكتنفه من
ضوابط - رحمة رحيمة من الحق سبحانه بعباده .. صورته مسؤولاً
لاتباعهم ولعالم كله على أنه ضرب من الهمجية وفوضى الجنس يبيحها هذا
الدين للمسلمين ..

مع أن الاسلام - كما هو معروف - جعله رعاية لكثير من المصالح
التي تنعدم اذا كان التعدد محظوراً ، كحالة المرض المزمن الذى تتعرض له
الزوجة ، أو أن تكون عقيماً ، أو يستحيل الوصول معها الى حالة
المعاشرة باحسان .. ومع هذا تكون ثمة ظروف تستوجب الإبقاء عليها
فى عصمة الرجل رعاية لاولادها منه أو رعاية لضعفها هى وظروفها
الخاصة ، وما الى ذلك ..

وكذلك فان الاسلام قيده بشرط ثقيل هو تحقيق العدل فى المعاملة
بين الزوجات فى كل الامور التى يمكن العدل فيها كالنفقة والسكن ،
والرعاية بحدودها الواسعة .. فاذا انتفت القدرة على تحقيق هذا العدل
انتفت حكمة التعدد ، وأصبح الاقتصار على الواحدة هو الاصل ،
وذلك على ما أشار اليه قول الحق سبحانه :

.. فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة .. (١)

ثم قوله سبحانه :

.. ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا
كل الميل فتذروها كالمعلقة وأن تصالحوا وبتقوا فان الله كان غفوراً
رحيماً .. (٢)

ومع هذه الضمانات ، ومع ما شرعه الاسلام من حقوق فى جميع
أحوالها على أساس الامساك بالمعروف والتشريع بالاحسان ..

١ - النساء ٤

٢ - النساء ١٢٩

مع هذا ، فإن الغزاة الذين امتهنت المرأة في مجتمعاتهم كما لم تمتهن في أى مجتمع آخر ، وأصبحت تعامل في المجتمع الشيوعي على أنها مجرد وسيلة من وسائل الانجاب والمشاركة بقدر من العمل لقاء ما تحصل عليه من قوت .. كما تعامل في المجتمع الرأسمالي كوسيلة من وسائل تنمية الارباح وتنشيط حركة السوق ، فأصبحت تصدر في واجهات المحلات التجارية بائعة وعارضة أزياء ومروجة للاسهم في شركات التأمين ، وسكرتيرة لرجال الاعمال ، حتى لاعبة في السيرك ..

المهم أنها تستخدم عندهم لتحقيق ربحا .. ومتى تحقق الربح فلا عليهم منها .. لتذهب الى الجحيم أو لتتبادلها أيدي الرجال كأنها منشفة في إجدد المطاعم ، ولتحرّم دفء الاسرة وحنانها .. فكله لا يهم ، ليس مهما ما دامت تحقق ربحا للمرابين الذين هم في النهاية من اليهود ..

يجد ذلك في مجتمعاتهم ، ويصفوه بأنه التقدم ، فإذا صان الإسلام كرامتها ، قالوا فيه ما قالوا .. حتى لا يفتحوا أعينها على الطريق الذي يكون فيه مخلصها ، وتستطيع به أن تفلت من المهانة ..

ومن الغريب أن الغزاة الذين يعيبون تعدد الزوجات أو الطلاق ، تعترف مجتمعاتهم علانية بحق الرجل وهو مستزوج بأن تكون له خليطة وخيلات وأن تكون له منهن أولاد وذرية ..



ومن أساليبهم في التشهير وانتقاص الاسلام . الزعم بأنه لا يقيم وزنا الا للمعنويات والجوانب الروحية في الانسان ويهمل حوائجه المادية ولهم في هذا فلسفات ومذاهب ، وكلها تتحدث عن الانسان وكأنه مجرد بطن وفرج يحتاجان فقط الى الامتلاء والاشباع .. تماما وكأنه حيوان ..

ولعل أبسط رد على ذلك هو التقرير الخطير الذي أذاعته جميع وكالات الأنباء العالمية منذ قرابة عامين نقلا عن وزارة الشؤون الاجتماعية في السويد ، وهي من أكثر بلاد الغرب اعتدالا في المناخ ورخاء في الحياة المادية وانطلاقا في اشباع شهوات البطن النهج الى أبعد الحدود ..

ومع هذا ، ذكر التقرير الرسمي أن أكثر من ٣٠٪ - ثلاثين بالمائة من السكان يعانون من الاضطراب والتمزق النفسي ويمارسون الخيلاء من الحياة بالانحمار .. مما يؤكد أن الماديات ليست وحدها أسس التوازن النفسي ..

٥ - اتهام الاسلام بشل قوى الابداع والعبقرية بين أتباعه :

وفي هذا أنقل فقرة من كلام أجندتهم ، وهو المستشرق الفرنسي (كيمون) التي قال في كتابه : « باثولوجيا الاسلام » :

« إن الديانة المحمدية - هكذا يسمونها دائما لئلا يهاجم بأنها من صنع النبي وليست ربانية - الديانة المحمدية جذام نقشي بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هي مرض سريع وشلل عام وجنون ذهولي ، يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء ، ويدمن على معاقرة الخمر ، ويجمع في الرذائل .. »

« فوما قبر محمد - صلى الله عليه وسلم - وأخشا الله - الأعمود كعزبائي ، يبعث الجنون مفتوح زعنوس المسلمين ، ويلجئهم إلى الاتيان بمظاهر الشرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة (الله الله) إلى ما لا نهاية ، والتغود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهية اللحم الخنزير ، والنبيذ ، والموسيقى (١) » ..



وبلحظة من التأمل تطالع في هذه الفقرة القصيرة مجموعة من الاتهامات الغربية للاسلام ، أبرزها أنه يبعث على الخمول والكسل ، وأنه يلغي افعالية العقل ، ويسلب أتباعه القدرة على التفكير المبدع ، ثم أنه أخيرا مجموعة عادات وليس ذنبا من عند الله ..

أما حكاية أن الاسلام يعود الكسل والخمول ، فليست أدري من أين جاء بها ذلك المفترى ، مع أن العمل في شريعتنا هو المعيار الأوحد لتكوين الأشخاص والأحداث ، ولأشياء فبنته يمكن أن يوضع في الميزان ..

والآيات التي تضمنت حديث العمل في القرآن تربو على ٢٥ خمسين ومائتي آية ، موزعة بين الحظن الصريح على العمل والأمر به من مثل قوله : « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل - (٢) » وقوله : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - (٣) »

١ - عن كتاب تاريخ الامام محمد بن عبد الله المشيخ رشيد رضا ج ٢ ص ٢٠٩

٢ - المؤمنون ٥١

٣ - الانعام ١٣٥

وبين تحديد نوع وطبيعة العمل المطلوب أو المنهى عنه من مثل قوله :
- من يعمل سوءا يجز به ولا يجده الله من دون الله وليا ولا نصيرا - (١)
وقوله : - ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة - (٢)

ولو صح أن الاسلام يشمل قدرات أتباعه ويقعد بهم عن الحركة والتمو ، لما أقام له الاعداء أى ميزان ولما حققوا عليه كل هذا الحقد ، لكنهم يغالطون ..

أما زعمهم بأنه يسلب طاقات الابداع من أهله فهذا باطل كبير ، وتاريخ العلوم عند المسلمين حافل ، وشاهد بالتفوق فى مجالات كثيرة ، نذكر من أعلامها أمثال : الزهراوى وابن النفيس وابن الهيثم والخيام والكاشى والبيرونى وابن سينا ومئات من أمثالهم ممن كانوا على مستوى أيامهم قممًا شامخة فى فروع تخصصهم ، وعنهم وحدهم عرف الغرب - الذى يصاب رجاله أحيانا بفقد الذاكرة - كيف يكون العلم وتكون الاضافة الحضارية الفذة الى تاريخ الانسان ..

وليس الاسلام هو الذى يحمل أتباعه على استدبار الحياة والفرار منها الى الدير والصوامع أو الذى يقر الرهبانية منهجا من مناهج الحياة ..

ولكنه الدين الذى يقول رسوله صلى الله عليه وسلم بما معناه :
« لو أن بيدى فسييلة نخل وعلمت أن القيامة تقوم الساعة ما ترددت أن أغرسها » ..

فلاسلام يعلم أتباعه حب الحياة كأنهم يعيشونها أبدا ، ولا يدعوهم الى الترهيب أو التصوف الفارغ ، أو البقاء خارج هامش الدنيا - كما يزعم الآخرون ..

لكن الفارق بين الاسلام وغيره أنه يعلم أتباعه فى موقفهم من الدنيا أن يمتلكوها ولا يكونوا عبيدا لها وأن يأخذوا مما فيها الطيب ، والحلال ، الذى يرتقى بروح الانسان وسلوكه ولا يهبط به ..

١ - النساء ١٢٣

٢ - النساء ١٢٤

وإذا كانت النهضة العلمية والحضارية متخلفة في الجانب المادي منها عند المسلمين اليوم ، فلا صلة لهذا الأمر بالاسلام ، ولكنه الحصاد الطبيعي لحالة الجزر التي سقطت فيها أمتنا المسلمة منذ ضياع بغداد وسقوط الاندلس ..

فقد بدأ الاعداء من حيث انتهينا وواصلوا التقدم ونحن نتخلف ، حتى كانت الفجوة (١) .. وحين يسترجع المسلمون مساوقهم فسيصبحون قادرين على الابداع كغيرهم ، بدليل أن مئات الألوف من العقول ومن الايدي المسلمة تسهم اليوم في نهضة الغرب المعاصر ، وأن كثيرين لا يكساون يحصون من الخبراء والعلماء المسلمين قد امتازوا وتفوقوا على نظرائهم من غير المسلمين ، على الرغم من الفوارق الضخمة والملحوظة في الامكانيات ووسائل العمل ..

• * •

١ - انظر : فضل العرب على أوروبا أو : الشمس الله تطلع على الغرب لسيجه وندهوتة.

الهدف الثاني:
ضرب الاسلام من الدراما

الهدف الثانى - ضرب الاسلام من الداخل :

ان ما سبقت الاشارة اليه من تخطيط الغزاة لا يمثل الا الجانب السلبي فى الموقف ، وهو الذى يحقق أخيرا شل فاعلية هذا الدين وعزله وتحديد اقامته داخل دياره .

• ✖ •

أما الجانب الاكبر فى الموضوع فهو التحرك الايجابى لضرب هذا الدين داخل حدوده ، وتقويض نفوذه والايمان به بين أتباعه ، وهو يشبه فى العمل العسكرى تصفية قوات العدو بد فرض الحصار عليها . .

وهذا الضرب من الداخل ، وما نسميه نحن الغزو الفكرى ، وان كان لا يعتمد على المواجهة العنيفة ، ولا يستخدم القوة المباشرة كما فى حالة الغزو العسكرى ، لكنه مع هذا أعظم خطرا وأجدى على الغزاة من نواح كثيرة :

١ - أنه يفقد المطموع فيهم - والمعارضين للغزو فعلا - حالة الانتباه اليه والاستعداد له ، وربما لا يمكنهم ادراك وقوعهم فى قبضة الغزاة الا بعد قوات الاوان فى أحيان كثيرة .

٢ - أنه بهذا التسلل ينفادى جميع أسباب المقاومة التى يمكن أن يتعرض لها فى حالة المواجهة السافرة .

٣ - أنه ، بالتسلل ، أيضا يمكن أن يجد له عملاء وأنصارا لا يستنكفون من التعاون معه ، اما بالانخداع حيناً ، أو الاطمئنان الى السلامة من تهمة الخيانة حيناً آخر . .

٤ - أن الغزو الفكرى يسير المؤونة نسبيا ، بينما نتائجه وآثاره أبعد مدى من نتائج أى غزو عسكرى ، لأن الغزو العسكرى تنتهى آثاره بانسحاب قوات الاحتلال . .

أما الغزو الفكرى فيستعمر الرؤوس والقلوب ، ويبقى مع الناس ما بقيت لهم حياة . .

٥ - أن وسائل الغزو العسكرى بشعة ومنفرة قوامها الدم والتضحيات والخراب ، بينما وسائل غزو الفكر خادعة ومحضوفة بالشهوات كالطريق الى جهنم ، ولذا فالاستجابة اليها أسرع وأكثر .

٦ - بغزاة الفكر لا يظهرون - غالباً - على مسرح العمليات ، وإنما يختفون وراء أشخاص من أبناء البلاد المغزوة ويعملون من خلالهم في وضع النهار وتحت سمع القانون وبصره ، بل وفي ظل الحماية والتمكين اللازمين .

٧ - ان تطور وسائل المادية الحديثة وما تفتقت عنه العبقريات الشريرة من مستحدثات في مختلف النواحي ، جعل وسائل هذا الغزو الفكري لا تقتصر على أسلوب يعينه بحيث يمكن رصده ومقاومته ، لكنها من الاختلاف والتنوع والشمول بحيث لا يكاد مقاومتها يدرى من أيها يبدأ .

وكل هذه الاعتبارات جعلت الغزو الفكري عن طريق التسبيل من الداخل أسلوباً تجري ممارسته منذ القرن الخامس عشر الميلادي .

نظرية حصان طروادة :

وقد بدأ استخدام هذا الأسلوب عندما احتدم الصراع بين اليهودية والمسيحية في القرن الخامس عشر ، وجعل اليهود خططهم تقوم على التظاهر باعتراف المسيحية والعمل لتخريبها تحت هذا الستار .

وقد شعرت الكنيسة بمؤامرات اليهود ، ولمست انتشار المستحدثات والبدع والاباطيل على نطاق واسع ، وبصورة تشير الى وجود تنظيم سرى خلف هذه الظواهر .

وقد أمكن بالفعل العثور على نص الرسالة الجسوابية التي أرسلها الحاخام الأكبر لليهود الى رئيس الجالية اليهودية المقيم بأحدى المدن الفرنسية ينصحه فيها - بعد طرد اليهود من معظم أقطار أوروبا - ينصحه فيها باتباع أسلوب (حصان طروادة) ، أي الدخول - تحت ستار - الى معسكر العدو كما فعل محاربو اليونان القدامى ، الذين دخلوا الى مدينة (طروادة) المحاصرة مختبئين في قلب حصان خشبي ضخم .

وقد نفذ اليهود ذلك فدخلوا في المسيحية ، واستطاعوا أن يكون منهم القسس والمعلمون والأطباء والمحامون وغيرهم ، وتمكنوا بذلك من أداء الدور التخريبي المطلوب (١) .

١ - انظر كتاب : الدنيا لعبة إسرائيل ص ٦٤ .

وكما استخدم اليهود هذا الأسلوب في محاربة المسيحية من قبل،
فقد استخدموه كذلك في العمل لتقويض الخلافة العثمانية ، وذلك عن
طريق مؤامرة يهود (الدونما) تلك الفئة من يهود سالونيك وإستامبول،
التي اعتنقت الاسلام ، وكان لها دور خطير في تحشيف التعاليم
الإسلامية ، ومجارية كل حركات الإصلاح حتى يبلغ السيل الزبي
ويصل الأمر إلى حد الانفجار المطلوب :

ثم كان لهم دورهم الكبير في حركة إلغاء الخلافة وثورة أتاتورك ..

• * •

وسنحاول في الفصول القادمة بيان آساليبهم في ذلك ..

الوسائل العامة للغزو الفكري

أولا :

أثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين :

وقد أتبع هذا الأسلوب منذ أن سبغت الفرصة لاستخدامه ضد الدولة الإسلامية ، وذلك بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وما تبع ذلك من ظهور الخوارج ، وانقسامهم الى أزارقة ، وصفورية ونجدات وأباضية وغيرهم ..

فقد كانت هذه الفتنة الكبرى مجالا لظهور كثير من الدعوات الشاذة التي تعتبر المناذاة بها خروجًا صريحًا على الإسلام كما حدث من (اليزيدية) أتباع يزيد بن أبي سفيان ، الذي ادعى أن الله - سبحانه - سيبعث رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتاباً ينسخ الشريعة المحمدية .

من الواضح أن هذه الدعوة تعبير عن نزعات سياسية وإقليمية معينة تقوم على الشعوبية الصارخة ، وكان الأمر مجرد توزيع سياسي للمكاسب أو الشرف ، فإذا أخذ الغرب يوماً فليكن يوماً آخر للعجم .. وما هكذا الإسلام : ولا هكذا أرسل الله رسالاته .. والقرآن صريح في بيان هذا المعنى حيث يقول الحق سبحانه :

« وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ، سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ » (١)

ومثلهم كذلك (الميمونية) أتباع ميمون القداح ، الذين أباحوا نكاح بنات الأولاد وبنات الأخوة والأخوات ، كما أنكروا سورة (يوسف) وزعموا أنها قصة غرامية وليست من القرآن الكريم .. الخ

فمن شأن هذه الخلافات المتصلة بالعقيدة أن تؤدي الى تأريث العداوات وتوسيع شقة الانقسام بين المسلمين ..

.. ففي الجانب الآخر يظهر التشبيح وغلت بعض فسرقة غلوا فاحشاً كماولئك الذين قالوا بالوهمية على رضى الله عنه .. وقالوا بخلوده

ورجعته ، وكانت لهم مواقف مناهضة للاسلام لا يمكن تعليلها من اناس يزعمون تحمسهم للدين ويتظاهرون بالغلو في الانتصار لما يسمونه الحق ..

ولقد عانى الاسلام - وما يزال يعاني - من هؤلاء الغلاة المتطرفين الذين أساءوا اليه كما لم يسيء الاعداء ، لأنهم - في الظاهر - كانوا ينتسبون الى الاسلام ، ويظفرون - من ذلك - بالمخادعة والإيمان .. ويتمكنون من التخريب من الداخل الذي لا يستطيعه أعداء الاسلام السافرون ..

• * •

وفي هذا المقام نضع بين يدي القاريء الكريم ما نقله ابن الاثير (١) من كتاب (تاريخ إفريقية والمغرب) للأمير عبد العزيز : وفيه يقول :

« قبلما يثس بأعداء الاسلام من استئصاله بالقوة أخبذوا في وضع الإيجاديت الكاذبة ، وتشكيك ضبيعة العقول في دينهم .. وكان أول من فعل ذلك (أبو الخطاب محمد بن أبي زينب) مولى بني أسد (٢) ، وأبو شاكر ميمون ديصان (٣) ، صاحب كتاب (الميزان في نصرة المزدقية) ، وغيرهما .. »

ثم يمضي في توضيح بعض أساليبهم في التشكيك وزعزعة العقيدة فيقول :

« فآلقوا - يعني الاعداء وعملائهم - إلى من وثقوا به بأن لكل شيء من العبادات باطن ، وأن الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف من الأئمة والإبواب (٤) صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، ولا جرم عليهم شيئاً ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات .. وإنما هي قيود للغة ساقطة عن الخاصة .. »

١ - الكامل ج ٨ ص ٢١ ط الأوربا

٢ - زعيم فرقة من الغلاة تسمى الغطاسيين وكانوا يؤلهون جعفر بن أبي طالب ويعلمون شجاعة الزور لاتباعهم ويبيعون المعمرات ، وقد بلغ أمره جعفر بن محمد فثبوا عنوايته

٣ - زعيم الفرقة « الميمونة » ويعسرف بميمون القلاح

٤ - الأئمة والباب : كلمات لها مدلولات اصطلاحية خاصة عند هذه الفرق وكلها ضلال باطل .

ويقول :

« وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم لينتسروا أمرهم ويستميلوا العامة » .

« وتفرق أصحابهم في البلاد ، وأظهستروا الزهد والعبادة ، يقرؤوا الناس بذلك » وهم على خلافه في الباطل » .

• * •

وفي هذا الضوء يمكن لنا أن نفيد قراءة مجموعة من الأحداث الخطيرة التي تعرض لها الاسلام ، منتبهين الى دور الايدي الخفية في عمليات التخوين ، وندع الحقائق تعرض نفسها بوضوح :

افمن الثابت - تاريخيا - أن الفلول المقهورة لحركة الارتداد التي ظهرت في جنوب الجزيرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي نفسها التي هسرت الى الكوفة واستقرت بها وأخذت تبجح لها عن أدوار جديدة . ومن هنا كانت (الكوفة) مسرحا لكثير من الأحداث .

ومن المعروف - كذلك - أن بعض الذين كانوا يظهرون شدة التحمس للإمام علي رضي الله عنه ، وأسهموا في تطوير الاحداث حتى بلغت ما بلغته يوم (صفين) هم أنفسهم الذين أجبروه على قبول ما لم يكن ليتقبل .

ويذكر (اليعقوبي) في تأريخه لوقعة (الجمل) أن النصاري قاتلوا فيها الى جانب (علي) رضي الله عنه (١) ١٠٠ ؟

ومن الثابت - كما يقول الشهرستاني في (الملل والنحل) أن (عبد الله بن سبأ) كان له دور تخريبي مرسوم بدليل تظاهره والسبئية من بعده بالتحمس لعلي الى حد الزعم بأنه اله ؟ . وذات مرة قال ابن سبأ لعلي رضي الله عنه : (أنت أنت) ، يعني أنت الآلهة . فنفاه علي رضي الله عنه الى (المدائن) .

فلما مات علي رضي الله عنه أظهر ابن سبأ أنه حي لم يمت وأن الجانب الالهي الذي لا يموت وهو الذي يجيء في السحاب ، وأن الرعد

١ - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٣ ط : الورباني « حركات الشيعة المظنحيين »
دكتور - جابر النعيمي ص ٢١ ط : دار المعرفة مصر

صوته ، والبرق تبسمه ، وأنه سينزل الى الارض فيملؤها عدلا كما
ملئت جورا .. الى آخر الاباطيل ..

ومما يجب الانتباه اليه في أمر ابن سبأ وأمثاله ما يذكره ابن جرير
الطبري في التاريخ عن ابن سبأ هذا فيقول :

« كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء ، فأسلم في زمن
عثمان رضي الله عنه .. ثم تنقل بين بلاد المسلمين يحاول اضلالهم ، فبدأ
ببلاد الحجاز ، ثم البصرة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من
أهل الشام الذين أخرجوه .. فأتى مصر فقال لهم فيما يقول :

العجب ممن يزعم أن عيسى - عليه السلام - يرجع ، ويكذب أن
محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل : « **إن الذي فرض عليك القرآن**
لرأذك إلى معاد » ..

ثم قال لهم بعد ذلك - على ما رواه الطبري أيضا - :

« ان عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه
وسلم - يعني عليا رضي الله عنه - فانهضوا في هذا الأمر وحركوه ،
وأينعوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
لنستميلوا الناس » ..

وقد نجحت الخطة وأدت - كما هو معروف - الى مصرع الخليفة
الراشد ذي النورين رضي الله عنه ، وأدت قبل هذا الى اشعال الفتنة
الكبرى التي ما تزال تعاني من آثارها الى اليوم ..

ثم يأتي (الكاملية) من غلاة الشيعة ، فيكفرون جميع الصحابة
- رضي الله عنهم وحاشا لهم - لأنهم - في زعمهم - تركوا بيعته
على .. ؟!

ثم يكفرون عليا - رضي الله عنه - بعد ذلك لأنه - في زعمهم أيضا -
تركه حقة في الخلافة وقعد عنه .. ؟!

• * •

الامر اذا أمر اصرار على أن تكون بين المسلمين فتنة ، واصرار على
تأريث هذه الفتنة واعطائها صورة المذهب والعقيدة ، ولو بلغ بهم الحال
في تدعيم المذهب المزعوم أن يكذبوا على الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وينسبوا اليه ما لم يقل ، حتى تبلغ خطتهم التخريبية غايتها ..

فهل يقبل عقل عاقل أن يكون الدافع الى مثل هذه التحركات هو
تشديد الحقيقة ١٠٩ ٠٠ معال

لكنها الاحقاد المريزة على الاسلام ٠٠

والتي مزجت بين العصبية العربية المقهورة ، وبين بقايا يهود خبير
وسلالات يوم الاحزاب ، ثم بقايا الدول التي زلزل الاسلام كيائها ، وأطفا
نيرانها ٠٠ واذا هي جميعا تتساند لتنتقم ٠٠

• * •

وبما يجب الانتباه اليه أن إثارة الخلافات والصراع المذهبي ليس
غاية في ذاته بقدر ما هو وسيلة الى زعزعة الكيان السياسي والانقضاء
على دولة الاسلام ٠٠

وقد تمثل هذا في تلك الفترة في مجموعة من الفسلاقل الخطيرة التي
أشير من بينها الى حركات ثلاث خطيرة هي حركة (الزنج) وحركة
(القرامطة) وحركة (الطشاشين) ٠٠

• * •

أما حركة الزنج فهي التي قام بها من يدعى (علي بن محمد) زاعما أنه
علوى النسب ، واستمال اليه العبيد بالبصرة ونواحيها ، واستفحل أمره
حتى هاجم البصرة عام ٢٥٧ هـ وأحدث بها من الفظائع ما لا يمكن تصوره ،
الى الحد الذي سجله ابن الرومي في قوله المشهور :

ذاد عن مقلتي لذيد المنام ، نبغها عنه بالدموع السجام
أي نوم من بعد ما حل بالبصرة ما حل من هنات عظام
أي نوم من بعد ما انتهك الزنج جهارا محارم الاسلام
ان هذا من الامور لأمر ، كاد ألا يقسوم في الافهام

ويستمر بأس هذه الحركة بالمسلمين طوال أربعة عشر عاما حتى
قضى عليها في زمن (الموفق) عام ٢٧٠ هـ بمعاونة كبار القواد المخلصين
من أمثال (ابراهيم بن المدين) و (موسى بن بفا) و (أبي العباس بن
الموفق) وغيرهم ٠٠

• * •

لكن المسلمين ينبغي الا يتركوا في أمن .. ولذا ما تكسب تضي سنوات ثمان حتى تظهر في عام ٢٨٠ هـ جماعة « القرامطة » الذين كان ابتداء ظهورهم بسواد الكوفة ، وطهرت منهم جماعة في « البحرين » عانت في الارض فسادا وهددت المسلمين في كل موقع تناله أيديهم وربما هم ، بل لقد تمكنت جماعة منهم في عام ٣١٧ هـ من دخول مكة وذهبت الحجاج وقتل الكثيرين منهم (١) واقتنسلوا الحجر الاسود من مكانه ، وخمسوه معهم الى « حجر » ولم يعيدوه الا بعد تهديد من « المهدي » الخليفة الفاطمي الذي كتب الى زعيمهم يقول له :

« لقد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والاحاد بما فعلت وان لم ترد على أهل مكة وعسلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الاسود الى مكانه ، وترد كسوة الكعبة فانا برىء منك في الدنيا والآخرة » .



أما الحشاشون وهم من الباطنية فقد ظهوروا أولا أيام ملكشنة السلجوقي ، وكان يتزعمهم « الحسن بن الصباح » الذي استولى على قلعة الموت من نواحي « قزوين » وجعلها مقر الحاكم الاسماعيلي ، وظل أمرهم يتعاظم حتى سنة ٥٢٠ هـ حيث استولوا على « بانياس » في الشام وعلى غيرها . وكان خطرهم عسلى المسلمين في المنطقة أشد من خطر الصليبيين الى الحد الذي جعل البطل الاسلامي العظيم صلاح الدين يقاتلهم ريثما يفرغ من عدوه .

ولم يفرغ العالم الاسلامي من هذه الفرقة الا بحدوث الظامة الكبرى التي نزلت بسقوط بغداد في ايدي التتار سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م .



١ - انظر صورة ملصقة لذلك في البحث الذي قدمه الاستاذ - عبد القادر شيبسلة للخدمة المؤتمنة للمنظمات الاسلامية العالمية المنعقدة بالامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ بعنوان الحركات القاعدية للاسلام .

وانظر كتاب « الحركات القاعدية للاسلام قديما وحديثا » من منشورات وزارة الحج والاثاف السعودية .

ثانيا :

افساد صفاء العقيدة واغراقها في متاهات الشك .

وقد حدث هذا عندما ترجمت الكتب الفلسفية في العصر العباسي، وغزت الفكر الاسلامي بكثير من المنازع الفلسفية والمذاهب الملحدة في تفسيراتها للكون والمادة ، وما وراء الطبيعية .. الخ مما ادى الى ظهور بعض المتشككين الذين كانوا ينزعون في الشك منزع السوفسطائيين من الفلاسفة .

ولو وقف الامر عند حد الاطلاع على افكار الآخرين والافادة منها في الرد على خصوم الاسلام لما كان هناك من بأس ..

لكن الامور كانت تستغل بخبث لا تارة الشك والفرقة بين المسلمين، بحيث تتمزق وحدتهم ثم يكون بأسهم بينهم على الدوام ..



وان مما يتألم له الباحث الاسلامي المعاصر أنه ولما يحض على طهور الدعوة الاسلامية سوى قرنين تقريبا .. أن يتعرض عالم جليل كالامام احمد بن حنبل وغيره لما تعرضوا من الايذاء والمهانة في الفتنة الشهيرة التي عرفت في التاريخ باسم «محنة خلق القرآن» .

فلقد كان الاصل الا يثار مثل هذا الموضوع ، فضلا عن أن يصبح قضية تشغل بها الدولة ، الى درجة أن يترك أحد الخلفاء وصيه لمن بعده يالا يتهاون فيها ..

بيد أننا لو تفحصنا التاريخ لظهرت لنا الاصابات المخربة التي تقف وراء تحركات الهدم .

فما يحفظه التاريخ لحركات الغلاة ومتطرفي الشيعة تلك التي قادها « الجعد بن درهم » والتي اتخذت طريق انكار الكثير مما جاء في القرآن الكريم ، ثم تفسير بعض آيات الكتاب وفق أهواء هذه الحركة .

وانتهى أمر « الجعد » على يد خالد بن عبد الله القسري ، الذي ضحى به في أحد أيام النحر وخطب يومها :

« من كان منكم يريد أن يضحى فليطلق ، فليضح . فبارك الله له
فى أضحيته ، فأنى مضح بالجعيسدين درهم ، زعم ان الله لم يكلم موسى
تكليما ، ولم يتخذ ابراهيم خليلا ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علوا
كبيرا » ثم نزل اليه فذبحه (١) .

• * •

فبقام من بعده تابعه « بيان بن سمعان التميمي » فكان كما يقول
ابن قتيبة « أول من قال بأن القرآن مخلوق » (٢)

• * •

ثم تشير المصادر الى شخصية أخرى من النصارى ؟ هى شخصية
يوحنا الدمشقى ، الذى كان يعمل فى خدمة الامويين الى عهد هشام بن
عبد الملك .

ويروى عنه أنه كان يعلم المسيحيين كيف يستندرجون المسلمين الى التورط
فى مسألة « خلق القرآن » بأن يحاورهم على النحو التالى :

يبدأ المسيحي فيقول للمسلم : بم سدى المسيح فى القرآن ؟
فاذا قال المسلم : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه » (٣)

فيسأله النصرانى : وماذا تسمى كلمة الله ؟ أم مخلوقة هى أم غير
مخلوقة ؟

وهكذا يجره الى الموضوع الشائك الذى شغل به الناس زمانا ،
مستندرجين جميعا الى شباك الاعداء .

• * •

وكان من الممكن ألا تجوز مثل هذه الدسائس على المسلمين ، وخاصة
أولى الراى منهم ، لكن أصابع التخريب الخارجى من ناحية ، وعناصر الضعف
والعمالة والخضوع لشهوات النفس بين المسئولين المسلمين من ناحية
ثانية هى التى هيات المناخ الملائم لتفريغ الفتنة كى تبلغ مداها .

١ - الخطيب البغدادي : بغداد ج ١٢ ص ٤٢٥ .

٢ - لابن قتيبة عيون الاخباء ج ٢ ص ١٤٨ ط : دار الكتب . عن كتاب حركات
الشيعه المتطرفين ص ٤٢ .

٣ - النساء - ١٧١ .

ذلك أن الغزو الفكري كالمرض تماما لا ينفذ الا الى الجسم السدى .
أصيب بالهزال وفقد مناعته وطالمسا كانت العقيدة الاسلامية صحيحة في
النفوس ، والحفاظ عليها موجودا فان جهود الغزاة تمضى مع الرياح . .
لكن اذا ضعفت الغيرة وتمكن المخربون من الوصول الى قلاع الدفاع
فهنا تكون الكارثة .

ولهذا كان العصر العباسي - واقعا وتاريخا - من أخصب العصور
للتلقيح ببذور الغزو ، لانه العصر الذي كانت فيه سيطرة النفوذ
الفارسي بحضارته ونقاليده غالبة وممكنة ، فأصبح الفساد أمرا مألوفا
ونامت الغيرة على الدين ، وتجسروا المفسدون على المحارم كما لم يحدث
من قبل في تاريخ الدعوة . ثم هو العصر الذي شاع فيه استخدام
المجوس والنصارى ، ووصولهم الى أرقى مراكز الدولة . .

واذا كانت « محنة خلق القرآن » قد ظفرت بالانتباه فيما ذلك الا لانها
أخذت ابعادا سياسية ، وشارك فيها بعض الخلفاء أنفسهم . . لكنها لم
تكن المحنة الوحيدة في هذا العصر أو بتعبير آخر : لم تكن المحنة
الواحدة ذات المطابع الفكرى . .

• * •

فبوسعنا مثلا أن نعتبر المحاولة المنسوبة الى الكاتب الشهير «عبدالله
ابن المقفع» ضربا من محاولات التخريب الفكرى فى فترة مسن
الفترات . .

وسوف أعرض هنا لكتاب « الدرّة اليتيمة » المنسوب اليه ، والسدى
بقيت منه فقرات تدل على دور الرجل وما فى فكره من زيغ حاد أن
ينشره ، وإن كانت الظروف لم تساعد .

يقول القاسم بن ابراهيم فى كتابه « الرد على الزنديق » اللعين ابن
المقفع عليه لعنة الله آمين » (١) انه يرد على كتاب لابن المقفع قال فى
وصفه :

١ - نشره الاستاذ ميخائيل جويدي سنة ١٩٢٧ م وانار نشره مجموعة من التعليقات
والبحوث شارك فيها الدكتور احمد أمين مدافع عن ابن المقفع ثم الدكتور عبد اللطيف
حمزة مشبها لفتهمة عليه والقاسم بن ابراهيم زوفى سنة ٢٤٦ هـ

« فوضع - يعنى ابن المقفع - كتابا أعجمى البيان ، حكم فيه لنفسه بكل زور وبهتان ، فعاب المرسلين ، وافترى الكذب على رب العالمين ، فرأينا من الحق أن نضع نقضه بعد أن وصفنا من قول «مانى» (١) «بعضه» ومن الفقرات البشعة التى نقلها صاحب الكتاب المذكور عن كتاب ابن المقفع - الذى لم يصلنا - قول ابن المقفع وهو يتحدث عن مقام الحق سبحانه وحاشا له :

« انقلب عليه خلقه الذين هم عمل يديه ١٩ ، ودعا كلمته ونفخة روحه فعادوه وسبوه وآسفوه .

« وانشأ - تعالى - يقاتل بعضهم فى الارض ، ويحترس من بعضهم فى السماء بمقاذفة النجوم ، ويبعث لمقاتلتهم ملائكته وجنوده » (٢)



وإذا كان هذا القول يعتبر تحديا للاديان كلها فمن الواضح أن القرآن بالذات هو المقصود هنا بدليل ما تشير اليه العبارات المنسوبة لابن المقفع ، من النصوص القرآنية . . .

نقول « وآسفوه » إشارة الى قول الحق سبحانه فى القرآن :

« فلما آسفونا انتقمنا منهم » (٣)

وقوله أنشأ يقاتل بعضهم فى الأرض يمكن أن يكون إشارة الى قوله سبحانه فام تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . . . (٤)

وقوله « ويحترس من بعضهم فى السماء » يمكن أن يكون إشارة الى قوله سبحانه « وأنا لمسننا السماء فوجدناها مائت حرسا شديدا وشهباً . . . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » (٥)

وقوله : ويبعث لمقاتلتهم ملائكته وجنوده « يمكن أن يكون إشارة الى قوله سبحانه :

١ - المقصود به صاحب الفرقة المانوية المعروفة .

٢ - كتاب الرد على الزنديق الملعين لابن المقفع ص ١٧

٣ - الزخرف - ٥٥

٤ - الانفال - ١٧

٥ - الجن - ٩٨ .

« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين : بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (١)

وإذا فالنهمك موجه الى القسر آن دون غيره .

ولهذا لا نستغرب قول الخليفة العباسي المهدي « ما وجدت كتاب زندقة الا وأصله ابن المقفع » (٢)

ويؤيد هذا ما روى عن ابن سبئة أنه قال : « حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر على بيت نار ، بعد أن أسلم فتمثل بقول الشاعر :

يا بيت عاتكة الذي أتبعزل حذر العدا ، وبه الفؤاد موكل
أنى لامنحك الصدود واننى قدما إليك - مع الصدود لأميل

• * •

ومن نوع ابن المقفع يأتي دور الشاعر المتهتك بشار بن برد ذلك الشعوبى الحاقدا على الاسلام ، والذي وجد متنفسه فى اعتناق ما يراه « الكاملية » من « الرافضة » من تكفير الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن المعروف عنه أنه دان بالرجعة ورأى رأى إبليس فى تفضيل النار على الطين . والنار عند المجوس مقدسة كما نعلم ، وفى هذا يقول بشار :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

ويقول فى بعض شعره :

إبليس خير من أبيكم آدم والطين لا يسمو سمو النار

فالانتصار للمجوسية واضح فى شعره مما أحفظ عليه كثيرين من الشعراء فهجوه وردوا عليه . وكانت له النهاية المعروفة .

• * •

١ - ال عمران - ١٢٤ و ١٢٥

٢ - البيان الأعيان ط : بولاق فى ترجمة الحسين الخلاج .

واذا كان خطر ابن المقفع يتمثل فيما نقل عن الفارسية من أفكار
يكن فيها الخطر المجوسى فان رجلا كبشار كان ذا خطر مباشر بما دعا
اليه من التهلك والاباحية والانتقاض على محارم الدين .

وكانت قوة عارضته وحلاوة شعره مما أعاناه على ذلك ، فكان شعره
تحريضا فاضحا على الفجور والخنا ، ودعوة الى مذهب اللذة واللامبالاة
والتحلل من كل القيود والقيم ..

وبلغ به خبت الطوية أن كان يحض «الشباب علانية على الفجور .
وفى هذا يروى عن «سوار بسن عبد الله» و«مالك بن دينار قولهما:
« ما شيء أدعى لاهل هذه المدينة - يعنى البصرة - الى الفسق من
أشعار هذا الاعمى »

وليس أدل على ذلك من أن تبقى لبشار مدرسة أدبية قوامها التحلل
والاباحية والاستهانة بكل المحرمات والقيم ومن أعمدها : أبو نواس ،
والحسين الضحاك المعروف بالخليع وسلم الخاسر ، وابن منذر ،
والرقاسى وغيرهم من المجان .

• * •

ولقد يظن أن الحرافات هؤلاء الشعراء المجان ليست سوى ضرب
من الانحراف الفردى الذى لا ينبغى حمله على التخريب المقصود .

لكن ظهور هذه المدرسة البشارية فى المناخ الذى ظهرت وفى الظروف
المجتمعة التى كانت فيها العقيدة الاساسية للاسلام تتعرض للكيـد
والمناهضة يجعل من واجب المفكر ملاحظة مواقف هؤلاء الشعراء
وأدوارهم ، حتى ولو كانوا مجرد عصاة منحرفين غير مرتبطين بتخطيط
عام .. لاسيما وأن النظائر فى كل عصر تدل على ذلك ..

فكان الامر كان حلقة متكاملة يأخذ كل فيها بالنصيب الذى يستطيع
الاسهام به فمنهم من يصطنع المجال الفكرى . ومنهم من يصطنع مجال
«التفلسف» ومنهم - كهؤلاء - من تكون سبيله أبيات الشعر وفنون
«التخلع» والكل فى النهاية يتعاونون فى محاولة نقض جدار العقيدة حجرا
وراء حجر .

• * •

وليس أدل على ذلك من ظهور طائفة المخنثين التي لم تكن تبالي
بفجورها ، وتخرج على الناس دون حياء ، تمارس رذائلها وتذيع
الفاحشة بين الناس . . . وتقدم المل الوافعية للاستهانة الصارخة بكل
المقدسات والقيم . . .



ومثل هذا المناخ هو أنسب المناخات للانقضااض المعادي ، وبالفعل كان هذا
مقدمة طبيعية للعصف بدولة الاسلام على يد النصار كما هو مشهور .



واذا جاز لنا أن نقارن بين الليلة والبارحة ، ونظرنا في مخطط الغزاة
اليوم فسندفهم استمرارا في المنهج — لما كان عليه المخربون الاقدمون الذين
يعملون بوسائلهم لاضعاف سيطرة العقيدة على النفوس عن طريق التحلل
وكسر حواجز الفضيلة في المجتمع ومن ثم يسهل الانقضااض والاحتلال



تيار الاسرائيليات في مصدري الشريعة :

ويتصل بما سبق من محاولات الغزاة لافساد صفاء العقيدة واغراقها
في متاهات الشك ذلك التيار الباطل من الخرافات والاضاليل التي
نشرها اليهود في مجتمع المسلمين ، ثم تلقفها بعض المؤلفين دون فطنة
أو تمحيص فكانت لها اثارها المؤذية

وأضع هنا بين يدي القاري الكريم قول احد الباحثين المنصفين
في هذا الموضوع (١)

« ان أعداء الاسلام — ومنهم اليهود — هالهم مالا لاسلام وأهله
من قوة فتر بهوا به للدوائر ، وقفوا في طريقه يحاربونه ويصدون
الناس عنه ، ولكن الاسلام بصديق تعاليمه لم تقم في وجهه لاعدائيه
حجة ، والمسلمون بقوة يقينهم ، لم تعطل مسيرتهم الظافرة وفتوحاتهم
الباهرة جيوش أعدائهم على كثرتها وقوتها الامر الذي جعل أعداء الاسلام
والحائقين عليه من اليهود وغيرهم يبحثون عن طريق آخر يصلون به الى
النيل من الاسلام وأهله . »

١ - الأستاذ محمد حسين الذهبي في كتابه « الاسرائيليات في التفسير والحديث » ص ٤١

من منشورات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

فتفتقت عقولهم المأكرة وقلوبهم الفاجرة عن مكر سيء وخداع بشع ،
فتظاهروا نفر منهم بالدخول في الاسلام وقلوبهم منه خاوية ، وتشيعوا لآل
بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدورهم على الحق طاويزة
واستغلوا عواطف المسلمين وجههم لآل بيت الرسول عليه السلام .
فانشجوا بالسواد ، وسكبوا دموع الماسيح حزنا وأسى على ما زعموا من
ظلم آل البيت ، وغالوا في تقديرهم ونفديسهم حتى وصلوا بهم السي
مراتب النبوة ، أو يزيد . . وصوروا أبا بكر وعمر وعثمان - رضى الله
عنهم - غاصبين للخلافة التى هى حق على رضى الله عنه وذريته من
بعده ، ووضعوا في ذلك أحاديث غريبة ، ونسجوا فيه قصصا عجيبه
معظمها منتزع من أصول يهودية .

« واليهود : قوم ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ،
فمن السهل عليهم أن يحبكوا القصة في خبث ومهارة حبكا تاما ، ثم
يذيعونها بين أوساط العامة ، ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة
فاذا بها قد شاعت وانتشرت ، ثم تلقفها الناس بعد ذلك منسوبة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله منها ومن قائلها براء »

• * •

وهذه الاسرائيليات التى انسابت الى بعض كتب التفسير ، والتى أدت
الى اختلاق أحاديث مكنوية ونسبتها الى المصطفى صلوات الله عليه . .
انما يكمن خطرها في أنها :

تثير الشك واللبلة فيما جاورها من الصحيح ، وهذه عملية تخريب
بالغة يمكن أن ندرك آثارها اذا تصورنا ما يستخدمه المحاربون في
عصرنا من وسائل التعمية باستخدام نماذج زائفة ومشابهة الى حد كبير
للاهداف الحقيقية فتكون النتيجة أن يختلط الامر على المقاتل بين الزيف
والصحيح .

واذا وقع الشك في النفوس فتلك محنة غير هينة ، ولذا تصدى
كثيرون من السلف الصالح للتنبيه على ذلك وتبيان وجه الحق فيه وكان
من آثار ذلك أيضا ظهور ذلك العلم العظيم النفع الذى عرف باسم «مصطلح
الحديث» ووضعت فيه الاسس المنهجية الرفيعة لنقد الرواية والرواة
وجدير بالاشارة أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضوان الله
عليه قد فطن مبكرا الى خطر الاستماع الى مثل هذه الاسرائيليات أو روايتها
فنهى - كعب الاحبار - عن التحدث بمثلها الى الناس وقال له قولته :

« لتترك الحديث عسى الاول ، أو لالحقنك بأرض القردة » (١)

• * •

كما أدت هذه الاسرائيليات كذلك الى القاء ظلال من الشك والريبة على غير واحد من رواة الحديث النبوى - وهذا خطر - من مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وغيرهما ، والشك فى الراوى معناه الشك فى الرواية ، ومعناه اخيرا الشك فى صحة المصدر التشريعى وسلامته ، وهذا - كما أشرت - ما يتمناه العدو .

• * •

واذا كان انتشار الوعى العلمى بين مثقفى المسلمين يعصم - الى حد كبير - من التورط فى متاهات هذه الاسرائيليات ومخاطرها ، فمما لا شك فيه أن القادرين على التمييز قلة ، والغافلين كثر ، وفى هذا ما يعرض عقائدهم للبلية ، أو يسلمهم السى الخرافات من ناحية ..

كما يلقى على النقدة المستنيرين عبء التصحيح والغربة ، وفى هذا تبديد لجهد ثمين ، وتصنييع لطاغات الدعاة فى مجالات كان أولى أن تصرف فيما هو أجدى وأكثر ايجابية . تماما كما يصنع المجاربون الالغام والاسلاك الشائكة فى طريق عدوهم ليعطلوا مسيرته ، ويبددوا بعض طاقاته فى غير هدفه الاساسى .

• * •

واذا كان المعروف لدى كل باحث منصف أن الاسلام هو دين الرؤية الصحيحة لحقائق الكون والحياة ، ودين التوجيه العظيم فى كل المشكلات البشرية للأفراد والشعوب .

اقول اذا كان ذلك هو المعروف لدى المنصفين ، فإن ظهور الاباطيل والخرافات فى بعض مصادره مما يؤدى الى امكان الزعم بأن مصادر التشريع فيه غير علمية أو غير معقولة ، والزعم كذلك بأنه دين نهويمات لا يحترمها العقل ، ولا تسلم بها مقاييس العلم ..

وهذه غمة تحتاج فى تبديدها الى جهود وجهود ما كان أغنانا عنها وما كان أولى بها أن تبذل فى التنمية والبناء .

١ - البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٠٨ عن كتاب الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ١٢٨

وإذا كانت الاسرائيليات القديمة قد قيض الله لها من النقدة الغيورين ما حدد حجم خطرهما وحاصرهما ودل على خباياها .. فإن الغزاة المعاصرين لا يزالون يصطنعون اسلوب الاسرائيليات في شكل يناسب طبيعة العصر ، وليس بخاف ولا مجهول ما نفاجاؤه من طبقات مريبة للمصحف الشريف ، تحذف فيها مثلا الآيات التي تفضح خلائق اليهود ، أو تحرف فيها آيات عن مواضعها أو ما السى ذلك .. مما يستوجب المزيد مسن اليقظة والانتباه ..

• * •

ثالثا : اصطناع عصبية جديدة بدل عصبية الجاهلية -

وذلك أنه لما ضعف شأن العصبية القبلية أولا بفعل الاسلام وتانيها بفعل الثقافة والعلم ، ورأى الاعداء ، أن ذلك يعنى انصهار الدولة الاسلامية في اطار الوحدة المتجانسة .. أخذوا في اصطناع عصبية جديدة متطورة تناسب ومستوى العصر .. ليصلوا ثانية الى التمزيق والتفريق .

وكانت سبيلهم الى ذلك اذكاء النعرات الاقليمية والمحلية عن طريق الشعار الذى عُرف فى العرب باسم « القوميات » ثم بدأ تصديره الى الشرق .

• * •

ولو كان القصد من ذلك اذكاء الروح الوطنى وتنشيط الحماس للعمل الكبير من أجل الامة الاسلامية لما كان هناك بأس .. على نحو ما كانت تتمايز القبائل أو الفئرة العسكرية فى الحرب ليعلم بلاؤها . لكن الامر كانت له وجهة أخرى . ظاهرها : تأكيد استقلال الشعوب وتمييز شخصياتها .

وباطنها - تمزيق وحدة الشعوب المسلمة وتحويلها الى دويلات متنافرة ومتناحرة ..

• * •

وبعد أن كان الاسلام ذات يوم هو « الجنسية » التى ينضوى تحتها كل المسلمين ، سحبت هذه الهوية لتحل محلها النعرات والنزعات الاقليمية ، التى لا يخفى ما تصيب به النفسية المسلمة من الاحساس بالعزلة وعدم التضامن مع بقية المسلمين ، وهو أمر له أثره الخطير

«الذى لا تلمسه الا عند الازمسات والمصاعب . بالاضافة الى ما يصنعه
التعارض بين « القوميات » من فتن وخلافات . .

ولنأخذ على سبيل المثال موقف دولة الخلافة « تركيا » التى كانت
قبل النعرة القومية تمثل العالم الاسلامى ، وتظفر بولاء شعوبه
وتعاطفها . .

* فلما ولى أمرها دعاة «الطورانية» لم ينظروا الى العالم الاسلامى باعتباره
أمة كبرى هم جزء منها وانما نظروا اليه باعتباره مجموعة أخرى من
القوميات يجب أن تسودها القومية «الطورانية» ومن هنا كانت نزعة
« التتريك » التى أدت بالطبع الى الصدام الحاد ، مع طبائع القوميات
الآخرى . وما كان لذلك من الاثار والنتائج المخيبة للامال . .



ومثل ذلك ما أراده الغزاة بالنسبة لبلدى « مصر » التى حاولوا دائما
ردتها الى «الاقليمية القديمة أيام كانت تحت حكم الفراعنة ، بحجة أن هذا
يعنى « التاصيل » وربط «البلد بتاريخها الحضارى العريق . . لكن
هذا حق أريد به باطل ، فالهدف هو عزل مصر عن بقية شقيقاتها فى
الاسلام والعروبة ، واقتصاصها عن التأثير والتأثير فى محيطها ، والقاء
نظرة عاجلة على دعاة «الفرعونية» فى مصر يكشف نواياهم . . فمعظمهم من
النصارى ، وبقيتهم من الذين ربوا على ايدى الغربيين وجمعتهم الطريق
بشكل أو بآخر . .

واذا كانوا يريدون ردة «مصر» الى الفرعونية فلما لا يرتد الشام الى
«الفينيقية» ويرتد العراق الى «الاشورية» وترتد الفرس الى أيام
«قورش» وهكذا . . مما يعنى فى النهاية أن تعود الجاهلية من جديد
فى شكل آخر يجد الغزاة فى ظله فرصتهم الرائعة فى العمل والتخريب

ولعل ما حدث أخيرا وقريبا فى القطر الاسلامى العزيز باكستان ما
يكشف عن خطر هذه النعرات الاقليمية والعرقية على وحدتنا وعلى
تضامننا الاسلامى ، ويبين أنه بينما كان الاسلام هو الذى وحد باكستان
ورفع رايتها جاءت «القومية» لتمزقها وتنفيذ فيها مارب الاعداء .

وفى هذا يقول البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء
صهيون : « لقد بَدَرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض

الامميين « أى غير اليهود » الشخصية القومية ، بنشر العصبية الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا « (١)

رابعاً : طرح النظريات والافكار المناهضة للدين :

يعلم الغزاة جيداً أن الانسان لا يمكن أن يعيش - من الناحية الروحية - فى فراغ .. ومعنى هذا أنهم اذا كانوا يريدون أن ينزعوا من النفس ولاعها للإسلام أو لغيره من الأديان فعليهم أن يقدموا له البديل الذى يسد الفراغ من ناحية ويزعزع العقيدة الاصلية من ناحية ثانية :

• * •

ولما كانت للدين قدسيته فى النفوس عادة فإن الغزاة لم يقدموا نظرياتهم الجديدة على أنها البديل الصريح عن الدين ، وانما استداروا بدكاء ليرفعوا شعارا غايته مناهضة الدين ووسيلته لا تبدو كذلك .. أو على الأقل لا تنير لدى المتدينين طبيعة الدفاع عن دينهم .. وحين ذلك فى الشعار المشهور الذى روج فى عالمنا الاسلامى وأطلق عليه تعبير « العلمانية » ..

وتعني هنا الإشارة الى أن تعبير العلمانية هو الاصطلاح الخادع الذى استخدم بدلاً من عبارة « اللادينية » والتي هى التعبير الاصلى لشعار الحركة المناهضة للدين والتي ظهرت فى أوروبا فى ظروف لا مشابهة مطلقاً بينها وبين عالمنا الاسلامى .

• * •

وبخلاصة الاتجاه « العلمانى » حسب الشعار المرفوع وليس حسب الحقيقة المستكنة وراءه أن الانسان لا ينبغي أن يؤمن بشيء الا من خلال مدركاته الحسية ، أو من خلال التجارب والاعمال العلمية .. والكلام ظريف .. لكنه فى الحقيقة غير علمى ..

فمن الثابت أن قدرات الحس البشرى محدودة .. والمحدود لا يصلح مقياساً للاحاطة بغير المحسوس .. وعلى سبيل المثال .. اذا كان مدى بصر الفرد المقيم فى مكة المكرمة لا يمكنه من أن يرى مدينة «جدة» أو «المدينة المنورة» فهل معنى ذلك أنهم غير موجودتين ؟ الجواب لا .. ومعنى هذا أن الحس قاصر ، ولا يصلح للتقرير .

ومثال آخر .. لو قلنا لرجل من أهل البادية المنقطعين عن الديب ..
ان في الجو من حواليك أصوات رجال يعزفون الموسيقى ويزيدون
أخبار العالم .. فهو قطعاً لن يصدق بذلك لأنه لا يسمع من حوله شيئاً
.. فهل عجزه عن ادراك هذا الشيء الذي أصبح من البديهيات ينفسى
وجودها ؟

الجواب : لا .. وإنما يعنى أن الحس وحده قاصر ، ويحتاج عند
التقرير والحكم الى عوامل مساعدة .

ففى موضوع البدوى الذى أشرنا اليه لا يحتاج الامر الى أكثر من جهاز
راديو ترانزستور نحرك مفتاحه أمام عينيه ، وحين يسمع الى الأخبار أو
الموسيقى والغناء سيتبين له أن ثمة عوامل تحيط به .. وإن كان لا يراها
ولا يحس بها ..



والقضية مع أصحاب «العلمانية» لا تكاد تختلف ، فهم هم محاولانهم
إعلاء شأن المذركات الحسية واعتبار «المختبر» وحده السبيل الى تقرير
الحقائق ..

هم فى هذه الا يختلفون عن ذلك البدوى .. لان وسائلهم مهمات تطورت
لا تزال محدودة وعاجزة ، وهى بهذا لا تصلح للحكم الا فيما يتدخل فى
نطاق إحاطتها ، بينما يبقى المغيب بالقياس اليها مجهولاً .. وإن كان
جهلها به لا يلغى وجوده ..

ومن هنا يحتاج الامر الى الوسائل ذات القدرة القادرة ، وتلك هى
رسالات «السماء» التى أرسلها الحق سبحانه الى عباده على يد المصطفين
من أنبيائه ورسله ..

وقد جاء الرسل بالكتب السماوية ليكملوا للبشر رؤيتهم العاجزة ،
ويهدوهم الى ما يستحيل عليهم ادراكه بوسائل الحس البشرى
المحدود ..

تلك هى القضية ببساطة متناهية .

وثرثيباً عليها أقول : أن الذين يؤمنون بالغيب أكثر علمية وموضوعية
وأسلم منهجاً من الذين لا يؤمنون بالنتائج التجريبية فى «المختبرات» ..
لان تجارب «المختبرات» تقوم على الشيء المحسوس .. والمحسوس —
كما تؤكد الاحداث كل يوم — ليس هو كل شيء ، ففى كل لحظة جديدة

يكتشف العلم جديدا ، ويضيف الى معارفنا أخبارا وأمورا مذهلة عن الكون والحياة والأجرام والسموات والنجوم .

وهذه الاشياء كلها قبل أن نقف على أخبارها .. كانت غيبا .. أعنى كانت مجهولا بالنسبة الى أهـل المرصد و « المختبرات » ومعنى هذا أن انكارهم لها فى الماضى كان عجزا وكان قصورا فى الاستقراء والاحاطة بينما الذين يؤمنون بالغيب ممن آمنوا بالله وكتبه ورسله .. سلموا بوجود هذه الأشياء ويسلمون بشأن ملايين الأشياء والاسرار موجودة وإن لم نقف على خبرها بعد ..

• * •

ولست هنا بصدد مناقشة هذه الأفكار والنظريات ، فربما عدت لمثل ذلك فى كتاب آخر لكن ما يعيننى التنبيه اليه هو زيف دعوى العلمانية التى رفعها القوم شعارا تحادى المحاربة الاديان وماهى من العلم فى شيء ..

ويعيننى كذلك تنبيه بعض اخواننا من المثقفين المسلمين الذين بهرتهم مكتشفات الحضارة والعلم فاصيبوا بلون من التوقف فى طرائق التفكير ، وأصبحوا كالمؤمنين نفسيا امام حكاية - العلم - و - الحضارة - و - الوارد من الغرب - .

• * •

وبهذه المناسبة أحب أن أقرر ما هو معروف لكل منصف من أن الاسلام لا يعادى العلمية بمعناها الاصيل الذى شرعه القرآن الكريم واعتبره المدخل الاكبر والاوحد الى خشية الله بل حين اعبر العلماء الاصلاء المخلصين وحدهم الذين يستطيعون الارتقاء الحق الى مستوى خشية الله بكل ما يترتب على هذه الخشية من خصائص فى التفكير والسلوك ، وذلك فى مثل قول الحق سبحانه :

• ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفة ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ... (١)

والعامل العامل مفضل على العابد من غير العلماء ، ولا تضع الملائكة أجنحتها لأحد في الإسلام كما تضعها لطالب العلم ، ونحن مأمورون بطلب العلم من المهد إلى اللحد ، ومأمورون كذلك بأن نطلب العلم « ولو في الصين » أي البحث عنه وتحمل المشاق في سبيله بكل سبيل ومن حسن التوفيق أن الإسلام بين الأديان القائمة جميعا - هو الدين الذي لا ينافى العلم ولا يعاديه بل يكرمه ويرفع درجات أهله ، والقرآن صريح في التنبيه إلى أن الذين يعلمون والذين لا يعلمون لا يمكن أن يستووا ..



لكن ميزة العلم وخاصيته فهي الإسلام أنه علم أخلاقي وبناء ، و « البوصلة » التي توجه العلم في الإسلام مضبوطة على ناحية الخير ، فإذا انحرف بشكل ما إلى الشر فقد صفتته التي يستحق التكريم عليها . والخلاصة أن العلم عندنا لا يعادى الدين بل هو من صميمه ، أما علمانية القوم فهي دعوة صريحة إلى « اللادينية » وقد نشأت عندهم لظروف ليس منها عندنا شيء ، ومن ثم فهي لا تصلح في ظل شريعتنا لافتقاد الدوافع إليها ..

لكن القوم .. كما أشرت استغلوا انبهار - الشرقيين عامة والمسلمين بوصف خاص بمنجزات الحضارة الحديثة ، ورفضوا شعار « العلمانية » واستخدموه لضرب الأديان عامة وديننا بوصف خاص ، وتحت شعار العلمانية صدروا إلينا النظريات التالية :



أ - نظرية النشوء والارتقاء :

وقد عرفت هذه النظرية تاريخيا باسم نظرية « داروين » وهي مؤسسة على الزعم بأن الإنسان ماهو إلا كائن قد تم تطوره - عبر آلاف أو ملايين السنين - عن حيوانات أخرى ، وخاصة عن « القرد » . وبعد داروين جاء « نيتشة » ليقول : إن الإنسان ماهو إلا قنطرة بين « القرد » و « السوبرمان » . ولقد ظفرت هذه النظرية بتركيز دعائي ، الهدف منه نقض ما يقرره القرآن الكريم وكذا الأديان السماوية جميعا من أن الإنسان صنع الخالق وحده سبحانه .. ومن ثم تكون هذه مقدمة لانكار وجود الخالق نفسه .

ويعقب الاستاذ عباس العقسباد رحمه الله على مزاعم هذه النظرية بقوله فى كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » :

« ليس الانسان قنطرة بين القرد ، والسو برمان - يشير السهي قول نيتمة - بل الانسان قنطرة من الارض الى السماء تبينها قدرة الله . . قنطرة قرارها أسفل سافلين ، وذروتها أعلى عليين ، ومعراج من التراب المجبول الى أفسق الارواح والعقول . »

• يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه « (١)

• * •

ولو شئنا - من باب الجدل فقط - أن نلغى عقولنا فليلا ونمضى فى معاورة القوم لقلنا لهم :

- اذا كان « القرد » هو الاصل . . فمن الذى خلق « القرد » وجعله على تكوينه المخصوص وحجمه السنى يختلف مثلا عن حجم الجسمل أو الفيل ؟

فسيقولون : الطبيعة هى التى صنعت ذلك ؟

فنسألهم : وكيف وفقت الطبيعة الى ما نشاهد من الاحكام والابداع ؟

فسيقولون : انها الصدفة . . الصدفة والاتفاق فى حركة العناصر هى التى جمعت مخلوقات الكون كله بين الارض والسماء على هذا النحو . . الصدفة وحدها . .

ونسألهم : أمن الممكن مثلا لسو جمعنا مجموعة من أحجار البنساء والحديد المسطح والاسمنت والخشب والزجاج وما اليها ثم أخذنا نحركها داخل جهاز ضخم حركة عشوائية سريعة . . أمن الممكن فى هذه الحال - وبالصدفة التى تقولون بها - أن تتكون لدينا عمارة جميلة ذات طوابق وغرف وحمامات وشرفات ثم وما اليها ؟

ربما قالوا : نعم . . فنسألهم . . ومن الذى أوجد عناصر الطبيعة التى كان منها هذا المخلوق الرائع ؟ . .

سيقولون ، أوجدت نفسها . . وعندئذ تفترق طريقانا ونقول لهم :

١ - الاشتقاق

بل أوجدتها القدرة القاهرة العالمة الحكيمة المهيمنة المدبرة . . قدرة الحق سبحانه (الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين . (١)

• * •

ويطيب لي أن أنقل شهادة لهساقيمتها وهي لعالم امريكى فى البيولوجيا اسمه « سيسيل بايس هايمان » وفيها يقول : (٢)
« ان الطبيعة لا تفسر شيئا من الكون ، ولكنها هى نفسها بحاجة الى تفسير » فلو أنك سألت طبيبا : ما السبب وراء احمرار الدم ؟
لاجاب : لان فى الدم خلايا حمراء ، حجم كل منها اعلى ٧٠٠ مسن البوصة .

— حسنا ، ولكن لماذا تكون هذه الخلايا حمراء ؟
— لان فى هذه الخلايا مادة تسمى « الهيموجلوبين » ، وهى مادة تحدث لها الحمرة حين تختلط بالاكسجين فى القلب .

— هذا جميل ، ولكن من أين تأتى هذه الخلايا التى تحمل الهيموجلوبين ؟
— انها تصنع فى كبذك .

— عجيب ولكن كيف ترتبط هذه الاشياء الكثيرة من الدم والخلايا والكبد وغيرها ببعضها ببعض ارتباطا كليا ، وتسير نحو أداء واجبهسا المطلوب بهذه الدقة الفائقة ؟

— هذا ما نسميه بقانون الطبيعة

— ولكن : ما المراد بقانون الطبيعة هذا ياسيدى الطبيب ؟

— المراد بهذا القانون هو الحركات الداخلية العمياء للقوى الطبيعية والكيمياء «

— ولكن : لماذا تهدف هذه القوى دائما الى نتيجة معلومة ؟ وكيف تنظم نشاطها ؟ حتى تطير الطيور فى الهواء ، ويعيش السمك فى الماء ؟ ويوجد انسان فى الدنيا بجميع مآلديه من الامكانيات والكفاءات المثيرة العجيبة ؟

١ - السجدة : ٧

٢ - عن كتاب : « الاسلام يتحدى » تأليف وحيد الدين خان ص ٤٤٤٣ . ط :

بيروت .

- لا تسألنى عن هذا ، فإن علمنى لا يتكلم الا عن « ما يحدث » وليس له أن يعرف « لماذا يحدث » ١٩ .

• ★ •

ومعنى هذا أن العلمانية المزعومة عند القوم لا تعدو أن تكون تفسيراً لكنها لا تصلح بأى حال جواباً على السؤال المعلق : كيف حدثت هذه الاشياء التى منتهى علمنا أن نقف على تفسيرها ؟

• ★ •

التفسير المادى للتاريخ والنظرية الماركسية

عاشت نظرية « النسو ، والارنقاء » زمناً تسغل الناس ، وتؤدى دورها فى عملية التشكيك فى الاديان عامة لكنها لم تقابل - من المسلمين - بغير الازدراء والمناهضة ، لاسيما بعدما ثبت أنها من الناحية العلمية قنسد أقيمت على قروض قابلة للتغير وعلى الاستقراء الناقص ، وأنها لم تسزد كما قال أحد الاوربيين .

« ان الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعى يفسر عملية « بقاء الاصلح » ولكنه لا يستطيع ان يفسر حدوث « هذا الاصلح » (١) .

• ★ •

لذا فكر الغزاة فى أمر آخر يشيرون به الازدهان ويشغلون به العالم المتدين عن التفكير فى الاديان وهناك كان هذا التفسير الجديد لحركة الكون والحياة ، والذي يناهض التفسير الدينى لها ، ويرد ما يجرى فى الكون من أحداث لا الى السنن الالهية و ارادة الخالق .. ولكن الى عمليات الصراع الذى تحدث بين الطبقات المختلفة داخل أى مجتمع .

وقد وقع الاختيار فى تقديم هذا التفسير الجديد - على اليهودى كارل ماركس ورفيقه انجلز ، السندى يعتبرونه افيلسوف «الفكرة الشيوعية»

وقد بدأ أصحاب هذه النظرية بالزعم بأن « الاديان » ليست سوى « خدعة تاريخية » وان الاحوال الاجتماعية - كما يقول ماركس : هى التى تقوم ببناء الانسان وتكملها .. ثم يمشون فى الزعم الى أن الانسان هو الذى اخترع الاديان فى حالة عجزه عن مواجهة القوى الخارجية .

ويندوجون مزاعمهم بعرض الغاية من وراء هذه الحملة على الدين بقولهم
.. ان مرحلة الدين هذه قد اجتازها الانسان ، وعلى هذا فلا داعى
للاستمرار فيها لان اوانها قد فات .

• * •

ومن ناحية أخرى فان الفكر الشيوعى يحرص على الربط بين
الدين وبين الرأسمالية والاقطاع واستغلال أصحاب رؤوس الأموال
لغيرهم من طبقات المجتمع ..

وهذا الكلام ان انطبق على أى مذهب آخر فلا يمكن انطباقه على
الاسلام ، الذى يمتاز بما فيه من تكافل اجتماعى ينظر الى المجتمع كله
باعتباره وحدة عضوية يجب أن يتأثر كل جزء فيها بالام بقية الاجزاء ..
وفى هذا يقول الحديث النبوى المشهور بما معناه :

« المسلمون فى توادهم وتعاطفهم وتراحيمهم كمثل الجسد اذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وقد شهدت الدولة الاسلاميية تطبيقات ذلك على نحو يندر ان يكون
له ميل فى تاريخ أى عقيدة بل وفى تاريخ أى أمة ..

ونذكر على سبيل المثال عمليية « المؤاخاة » التى أقامها النبى صلى
الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار عند بداية تأسيس الدولة
الاسلامية بالمدينة ، والتى طبق فيها مبدأ التعاطف والتراحيم ، واستشعار
القادرين محتاجين على نجورائهم ونادر ، ودون حاجة الى اكرام
او ضغط أو حمامات دماء ..

وحدث مثل هذا التكافل الاجتماعى ، ظل سائدا طوال عصر النبى صلوات
الله عليه والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .. وفى غير ذلك مسن
العصور الزاهرة كعصر الخليفة سة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله
عنه .

• * •

واذا كانت هناك حالات لم يأخذ فيها هذا التكافل مداه فما هو من
غيب الاسلام ولكنه من غيب الحكومات التى انحرفت عند التطبيق ..

• * •

واذا كانت الشيوعية تعتبر حق الارث الذى أقرته شريعة الاسلام

هناك - كما زعموا - للعدالة في التوزيع التي يتشددون بها ، والتي يستبدلون بها بملكية الدولة لكل شيء فالاسلام بالميراث يفتت الكتلة الرأسمالية تفتتاً هادئاً وطبيعياً في ظرف جيل أو جيلين على الأكثر دون التجاء كما أشرت الى القهر أو العنف ..

وموقف الاسلام من المال ووضوابطه العظيمة في كسبه وانفاقه تمنع كلية من عمليات الاستغلال أو الاحتكار أو امتصاص جهود الآخرين نتيجة الموقع المالي الممتاز بالربا أو غيره من ضروب الاستغلال فهذا كله حرام ومرفوض في شريعة هذا الدين .

• ★ •

وإذا كانت الشيوعية تذيب وهماً أنها تعمل على إعلاء حق المجتمع على كل الحقوق . فإن الاسلام في ذلك رائد ناصح ومأمون العواقب ، لان المصلحة في التشريع الاسلامي ذات اعتبار مرموق .. ومن المعروف لدى الفقهاء أن التشريع يكون حيث تكون مصلحة الامة وجوداً وعدماً ..

هذا مع ملاحظ هام وهو أن الاسلام يعطي للدافع الذاتي عنسد البشر اعتباره ولا يغفل الطبيعة البشرية التي جبلت على حسب التملك ، والتصرف .. فمنحها هذا الحق مع ضمانات استخدام في الطريق الذي لا ضرر فيه ولا ضرار (١) .

• ★ •

وبصرف النظر عما في النظرية الشيوعية من تناقضات في الفكر والتطبيق لا يتسع المقام لتفصيلها هنا ، فقد كانت الغاية الاساسية التي أقيمت من أجلها هي نقض فكرة التدين ورفض وجود الاله وعلان الكفر به ، اشاعة للفوضى ، ومقدمة لمرحلة أخرى في مخطط الغزاة .

وفي هذا يقول لينين في خطاب له بالمؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعي سنة ١٩٢٠ م .

- اننا لا نؤمن بالاله ..

- ونحن نعرف كل المعرفة أن ارباب الكنيسة والاقطاعيين ، والبورجوازيين ، لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالاً ، ومحافظة على مصالحهم .

١ - كلمزيد من التفاصيل : انظر الاسلام والشيوعية للاستاذين عباس العقاد وواحد عبد الغفور عطار

— اننا ننكر بشدة جميع هذه الاسس الاخلاقية ، التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان ، والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبيعية. وتؤكد أن كل هذا مكر وخداع وهو مستأر على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والاقطاع ، ونعلن أن نظامنا لا يتبع الا ثمرة النضال البروليتارى .. »

• ★ •

ولنكون على بينة من طبيعة الظروف التي قامت فيها الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ م ينبغي أن ننبه الى دور القوى اليهودية الصهيونية فيها وهو دور بالغ الخطر . لانه المحرك الخفى وراء كل هذه المحاولات للانقضاض على الاديان فى كل مكان ..

« لقد كانت نقمة اليهود على روسيا القيصرية عظيمة ، لانها كانت الركن الرئيس للمسيحية ثم لان روسيا انذاك لم تهضم تغلغل اليهود فى الكيان الروسى ولم تسمح بسيطرتهم على مقدرات شعب روسيا كما انها لم تحل دون عمليات القمع التي كانت توجه الى اليهود كلما تسببوا فى تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا ، وكلما ذبحوا طفلا لاستنزاف دمه لفطير العيد .. »

« وقررت الحكومة المستورة أن تدمر المسيحية فى روسيا وأن تنتقم من الشعب الروسى الذى كان يحقر اليهود ويضطهدهم فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ م « (١)

ومن أصرح مايدل على أن الصهيونية العالمية تقف بتخطيطها المدروس وراء كل هذه الحركات والنظريات الهدامة ما جاء واضحا فى بروتوكولات صهيون حيث يأتى فى البروتوكول الثانى مانصه :
« لاتتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . »

ولاحظوا هنا أن نجاح « دارون » و « نيتشة » و « ماركس » قد رتبنا من قبل (٢) «

ويقول أيضا ما نصه :

-
- ١ — خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية للاستاذ عبد الله التل ص ١٩٢ .
 - ٢ — بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٠٦

« اننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من الظلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين » .

« ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الأخوة والانسانية العامة » .

وفى هذه الاعترافات ما يمكن كل ذى بصر من أن يعرف كيف تأتيه ريح الشر ؟ ومن أين تأتيه ؟

خامسا : دعم وتأسيس الحركات المعادية للإسلام .

ونعرض فى هذا المقام لثنتين من هذه الحركات المعادية للإسلام ، والتي ظفرت وما تزال بتأييد القوى المعادية ودعمها وأعنى بهما :

أ - القاديانية .

ب - البهائية .

القاديانية

لن أتعرض فى هذه العجالة لحديث مفصل عن تاريخ هذه الحركة ، ولا حياة مؤسسها وتفصيلات دعاؤها ، فقد تكفل بذلك دعاة مخلصون ، أذكر منهم السيد الأستاذ أبو الأعلى المودودي فى كتابه « القاديانية » ماهى ؟ (١) والسيد - الأستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه « القاديانية والقاديانى : دراسة وتحليل » (٢) ثم : الحافظ احسان الهى ظهير فى كتابه « القاديانية : دراسات وتحليل » (٣)

لكن ما يعينى هنا هو اسرار طبيعة هذه الحركة ودورها فى مخطط الغزو الفكرى الكبير الذى يتعرض له ديننا العظيم . وبيان طبيعة علاقة هذه الحركة بالقوى الاستعمارية المناهضة .

• * •

وأول ما يبرز من ريع هذه الحركة أنها محاولة مناهضة التراث المسلمين الاصيل وللحق الذى تمثله مهابط الوحى فى المدينتين المقدستين : مكة

١ - من منشورات دار القلم - الكويت

٢ - من منشورات المجمع الإسلامى (نبوة العلماء) بالهند .

٣ - من منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

المكرمة والمدينة المنورة ، بهدف تحويل ولاء المسلمين عن هذه المنابع الى المنبع الجديد الزائف الذى نشأت فيه الحركة القاديانية . . .

وكان المسألة من باب الفخسر الاقليمي - وليست رسالة سماوية - يعلم الحق سبحانه أين يجعلها وأين يضعها وينزلها و - الله اعلم حيث يجعل رسالته

وفى هذا تطالعنا هذه العبارة الخطيرة لاحد أتباع القاديانية يقول فيها :

« ان الذى يزور قبه المسيح الموعود البيضاء فى « القاديان » له نصيب من البركات التى تختص بقبة النبی الخضراء فى المدينة ، فما أسقى الرجل الذى يحرم نفسه من هذه البركات خلال الحج الاكبر السى قاديان « ١ »

ويقول بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثانى للميرزا غلام أحمد : ان الحج الى قاديان حج تمثيلى لحج بيت الله الحرام « ٢ »
ويقول أحد أتباع القاديانية :

« والحج الى مكة بغير الحج السى قاديان حج جاف خنثى ، لان الحج اليوم الى مكة لا يؤدى رسالته ، ولا يفى بفرضه « ٣ »

• * •

وأكثر من هذا أنهم تأولوا نصوص القرآن مع صراحتها وحرفوها الى غاياتهم ، فقال الميرزا غلام أحمد نفسه :

ان الآية « ومن دخله كان آمنا » تعنى المسجد الذى أسس فى (قاديان) ويقول : ان المراد بالمسجد الاقصى فى قوله تعالى :

« سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله » هو المسجد المؤسس فى « قاديان » « ٤ »

هذا الى ما هو ثابت فى المصادر ، من استخدامهم فى معاملة « الميرزا غلام أحمد » مؤسس هذه الحركة الضالة لنفس اللفاظ وعبارات التوقير

١ - ماهى القاديانية للموددى ص ٥٢، ٥١ .

٢ - المصدر السابق ص ٥٢ .

٣ - المصدر السابق ص ٥٢ .

٤ - الأبراهيم الاحمدية للميرزا

التي كانت تستخدم مع الرسول الكريم صلوات الله عليه فهم يقولون
عن « الميرزا » . . عليه السلام . . ويتحدثون عن أهل بيته بعبارة « أم
المؤمنين » ويقولون عن رجاله « رضى الله عنهم » .



فالامر اذا هو محاولة صريحة لاحتلال عقيدة محل عقيدة ، واختراع
نبي فى مقام النبي الكريم صلوات الله عليه ثم ادعاء قبله مكان القبلة .
ولا يخفى ما فى ذلك من هدم صريح للاساس الاكبر الذى تقسوم
عليه عقيدة الاسلام الخالصة من ختم الرسالات برسالة محمد صلوات
الله عليه ، ومن مناقضة صريحة لنصوص كتابنا الكريم .



فاذا انتبهنا الى ملحظ اخر وهو ترحيب القوى الهندوسية ، ثم القوى
الاستعمارية بهذه الحركة وتأييدها لها أدركنا طبيعة الهدف الذى يجمع
هذه القوى المناهضة ، وبان دور الحركة القاديانية فى التخريب
المرسوم .

ومما يلفت النظر فى هذا أن يتصدى الزعيم الهندوسى الراحل
« جواهر لال نهرو » للدفاع عن هذه الحركة حينما تصدى لها شاعر
الاسلام وداعيته الكبير « محمد آقبال » الذى قال (١) فاضحا خطتهم:

« ان جواهر لال نهرو » ومن معه من القوميين مضطربون من انتعاش
المسلمين ونهضتهم كما ان « القاديانية » مضطربة أيضا لنفس السبب .

« وهم يعرفون أن هذا الانتعاش وهذه الحركة سوف تقضى على خطتهم
، خطة تمزيق أمة الرسول العربى سفهاء أبى وأمى - وتكوين أمة جديدة
لتنبىء هندی ، ولأجل هذا يؤيدهم جواهر لال نهرو . والا فإى علاقة
له بهم ؟ » .



أما عمالة هذه الحركة للقوى الاستعمارية ، وهى السلطات
الانجليزية آنذاك فيدل عليه بوضوح ما بعده وضوح الكتاب الذى ألفه

١ - القاديانية : احسان الهسي ظهير ص : ٦٥

الخليفة الثانى للحركة والمسمى « تحفة شهزادة ويلز » أى « هدية لسمو الامير ويلز نجل جـسـورج الخامس ملك بريطانيا » فى مناسبة زيارته للهند فى عهد الاحتلال البريطانى سنة ١٩٣١ م ، وفيه يقول (١) .

« يانجل مليكنا المعظم وولى عهدالمملكة البريطانية » :

« أنا امام الجماعة الاحمدية (٢) (٣) وخليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام ، أرحب بك بالنيابة عن افراد الجماعة الاحمدية (٣) أجمعين ، وأؤكد لك بأن الجماعة الاحمدية وفية للحكومة البريطانية وستبقى وفية لها ان شاء الله .

ويقول :

« ان منهج هذه الجماعة من يوم تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة (حكومة الاحتلال البريطانى) وتبتعد عن جميع أعمال الفتنة والفساد - يريد بها حركات التحرير التى ينهض بها المسلمون للخلاص من الاستعمار - وأن مؤسسها عليه السلام (٣) كان قد وضع ضمن شروط المبايعة ، التى لايمكن للمرء أن ينضم للجماعة بدونها . ضرورة أن يتعهد الشخص بأن يطيع الحكومة القائمة . ولهذا اجتنب اعضاء هذه الجماعة دائما الفتنة والفساد ؟! وأصبحوا أسوة وقدوة للآخرين » .

• * •

فنحن هنا أمام اعتراف قاطع بدور القاديانية الموالى تماما للاستعمار ضد الامانى العامة لشعب الهند وأمانى المسلمين منهم بوصف خاص . . . ويكفى هذا الاعتراف لادانة أهداف الحركة والنظر اليها باعتبارها من أولياء الكفر ومن أعداء الاسلام .

ويزيد فى تفهمنا لدور هذه الحركة فى خيانة أهداف الاممة الاسلامية ما ثبت بعد ذلك من ممارسة القاديانية لدور الجاسوسية والعمالة للسلطات البريطانية ضد المسلمين ليس فى الهند وحدها بل وغيرها من اقطار الاسلام .

١ - عن كتاب الاستاذ المودودى ص ١٤، ١٣

٢ - لاحظ هذه النوعة الى القومية التى وصف الحركة بالاحمدية اتسلاخا من النصفة العامة للمسلمين . .

يؤكد ذلك قول الاستاذ المودودي : (١)

« وقد مدت حركة الميرزا غلام احمد (القاديانية) الحكومة الانجليزية بخير جواسيسها لخدمة مصالحها الاستعمارية ، وقد كانوا أصدقاء أوفياء وكانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية وقد خدموها في الهند وخارج الهند » .

• * •

ويعترف أحد القاديانيين بعد رجوعه من روسيا سنة ١٩٢٣ م بقوله : (٢)

« انى اعتقلت مرات بنهمسة الجاسوسية للانجليز . . . تم يقول مفاخرًا : أنا ما ذهبت الى روسيا الا لتبليغ القاديانية ، ولكن : بما أن مفادات القاديانية وأهدافها متعلقة بأعراض وأهداف حكومة بريطانيا ، كنت مضطرا بأن أحترم هذه الحكومة وأؤدى واجبها على » ،

• * •

بل ان هؤلاء القاديانيين ليقفون من قضايا المسلمين فى كل مكان موقف الخيانة والحقد ، ويسرهم جدا أن ينزل أعداء الاسلام بأسهم ويطشهم بالمسلمين ، وفى هذا ما يكتشف عن طبيعة هذه الحركة المعادية للإسلام والتي تهتم بأن نرضى سيدها ، وأن تعلن فرجها بانتصاراته ولو كان ينتصر على من يزعمون هم الانتساب اليهم .

ويذكر التاريخ لهم موقفهم المشين حينما استطاعت قوات الاحتلال البريطاني أن تسيطر على العراق فاذا زعماء هذه القاديانية يقيمون حفلات الابتهاج العام بانتصار بريطانيا واحتلالها للعراق .

وحين أشارت اليهم أصابع المسلمين بالثبديد والخيانة لم يتردد خليفة الميرزا غلام احمد - وابنه أيضا أن يعلن فى حفل أقيم لهذه المناسبة عن موقفهم الخائن فى قوله :

« ان علماء المسلمين يتهموننا بأننا نتعاون مع الانجليز ، ويطعنوننا لابتهاجنا بفتوحاتهم وانى اتساءل : لماذا لا نفرح ؟ ا لماذا لا نسر ؟ وقد قال امنامنا « يعنى أباه » : بأنى أنا مهدي ، وبريطانيا هى سميلى » .

١ - ناهى القاديانية : ص ١٤

٢ - القاديانية : احسان ظهير ص ٣١

« فنحن ننهج بهذا الفتح ، ونريد أن نرى لمعان هذا السيف وبرقه
فى العراق وفى الشام وفى كل مكان
ثم يزداد توقفا فيعلن : « أن الله أنزل ملائكة لتأييد هذه الحكومة
ومساعدتها » (١) .

• ★ •

بقى مما يتصل بمنهجنا فى هذا البحث بيان الغايات الخبيثة التى تنسدها
القوى المؤيدة لمثل هذه الحركات الهدامة ، وهى العمل على اخضاع
المسلمين . وحملهم على الاستسلام التام لدوهم حتى يبلغ فيهم غايتهم
وقد قبلورت هذه الغاية عند القاديانيين فى اعلان بطلان الجهاد
كما سبقت الاشارة اليه وان كنت أؤثر هنا تقديم ذلك من خلال
كتاباتهم الصريحة .

• ✱ •

كتب الميرزا غلام أحمد مؤسس هذه الحركة فى خطاب له الى الحاكم
العام الانجليزى يقول ما نصه : (٢)

« . . . ان العمل المهم الذى أنا منصرف اليه بلسانى وقلمى منذ
أول عهدي بالحياة الى هذا اليوم ، وأنا ابن الستين . هو أن أصرف
قلوب المسلمين الى طريق الحب والولاء ، والاخلاص والوفاء الصادق
الخالص للحكومة الانجليزية .

« وأن أزيل عن نفوس بعض سفهائهم الاوهام الخاطئة كالجهاد
(هكذا) وغيرم مما يصدهم عن صفاء القلوب ، ويصرفهم عن الصلات
القائمة على الاخلاص . »

ويتعول فى الكتاب نفسه :

« وانى لعل يقين بأنه بقدر ما يكثر أتباعى ، بقدر ما يقل المعتقدون
بمسألة الجهاد المقدس (٣) ، فان مجرد الايمان بى — كالمسيح والمهدى
— هو انكار للجهاد »

١ - جريدة الفضل ٧ ديسمبر سنة ١٩١٨ عن كتاب : القاديانية
لاحسان الهى ظهير ص ٣١

٢ - تبليغ الرسالة ج ٧ ص ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ عن كتاب
القاديانية ماهى : للاستاذ السودوى ص ٩٦ ، ٩٧

ثم يقول :

« انى ملات المكتبات من الكتب التى كتبتها فى مدح الانجليسز »
وخاصة فى وضع الجهاد الذى يعتقد كثر من المسلمين وهذه خدمة كبيرة
للحكومة الانجليزية ، فأرجو أن أجزى بها جزاء حسنا » .

وهكذا فنحن أمام حركة يعسرف الذين خططوا لها كيف يفيدون منها
•• وكل ما ارتكبت وما ترتكب من اجرام وتخريب فى ديننا ليس الا
دليلا على ما قررناه فى صدر هذا الفصل من أن الاعداء يؤثرون اليوم
أن بضربونا نحن المسلمين برجال يحسبون باطلا على الاسلام •• لان
الشجرة لا يهزها الا فرع منها كما يقول المثل عندنا •• فى مصر ••

• ★ •

ب - البهائية

والبهائية فى موقفها التخريبي للاسلام انما هى مرحلة مختلفة -
من حيث الاشخاص فقط - عن الحركة القاديانية التى عرضنا لها ،
وكذا عن « البابية » التى هى مقدمة البهائية وأصلها العضوى •• فالكل
يشتركون فى الحق على الاسلام عامة وعلى نبوة النبی العربى صلى
الله عليه وسلم بوصف خاص - والمنطلق هنا كالمناطق هناك :

● عمالة صريحة للمستعمرين وأعداء الاسلام ، وموالة مثفانية لهم
فى وجه نضال المسلمين •

● حقد عنصرى قديم على الاسلام لا شئ سوى أنه ظهر فى العرب ،
ولم يظهر فى غيرهم والحق سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته •• •

● تحريف الكلم الربانى عن مواضعه ، ومحاولة مفضوحة لتأويله
بما يخدم هدفهم •

● انكار ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم • •

● التحلل والاباحية والاعتماد على الفرائز الدنيا فى الانسان لاسلاى
قيادته •

● الخروج على وحدة الامة المسلمة وشق عصاها بما يخدم أهداف العدو

• ★ •

واذا كانت تلك هي السمات العامة لهذه الحركات الهدامة فإن
ثمة فروقا بين كل منها وهي لا تختلف الا باختلاف طبائع
الاشخاص القائمين بكل حركة منها . وحيث قد عرضنا للقاديانية من قبل
فلا بأس من القاء نظرة سريعة على البهائية عبر تاريخها ، والتي يبرز
فيها تعاطفهم الواضح مع الصهيونية العالمية . وبالذات مع اسرائيل .

• ★ •

ظهرت البهائية على يد « الميرزا حسين علي المازندراني » لتكمل الخط
الذي بدأت به الحركة البابية على يد « الميرزا علي السيرازي » ثم انقطع
حينما افشى العلماء بقتله لارتداده ، وعمله على ابطال الشريعة الاسلامية
فنفذ فيه حكم الاعدام صبيحة يوم من أيام سنة ١٢٦٥ هـ الموافق
١٨٤٩ م .

وعندئذ أعطيت إشارة البدء « للميرزا حسين » فأتخذ في التحرك
أريد له أن يكون أكثر جرأة ووضوحاً في تبني الأفكار الغازية التي لم
تنشأ مثل هذه الحركات الا لخدمتها

وعلى سبيل المثال فاذا كانت الشريعة الاسلامية تحرم الربا تحريماً
قاطعاً بنص القرآن الكريم وهذا ما يتعارض تماماً ومضالجه الغزاة
فلماذا لا يجرؤ هذا العميل على اعلان تحليله وإباحته ؟

يقول الميرزا :

« ... ولهذا فضلاً على العباد (١٩) قررنا الربا كسائر المعاملات
المتداولة بين الناس أي ربح النقود، فمن هذا الحين نزل فيكم الحكم
المبين ومن سماء المشيئة صار ربح النقود - أي الربا - حلالاً طيباً (١)

• ★ •

واذا لاحظنا في هذا المقام أن البابية وهي أصل البهائية كانت قد
دخلت فيها بأمر المنظمة الصهيونية العالمية مجموعات من اليهود وانضوت
تحت لوائها . حيث دخل في البابية من اليهود في طهران ١٥٠ ،
وفي همدان ١٠٠ وفي كاشان ٥٠ وفي كلباكيان ٨٥ ، كما يقرره
صاحب كتاب « مطالع الانوار »

١ - نبذة من تعاليم بهاء الله ص ١٠٦ عن كتاب : حقيقة البابية
والبهائية ص ١٥٥

إذا لاحظنا هذا الاعتناق الجماعي من اليهود للبابية التي هي أصل البهائية وجدنا التفسير الطبيعي لاصدار زعيم البهائية مثل هذا التحليل لجريمة الربا خدمة للأهداف اليهودية المعروفة .

ومثلاً : إذا كانت الشريعة الإسلامية قد وضعت كلاً من الجنسين - الرجل والمرأة - في الإطار الطبيعي المتفق وما هما عليه من اختلاف في أصل الخلقة والتكوين . فجعلت القوامة للرجال على النساء وفق معايير كريمة تصنع المجتمع النظيف المطمئن . . .

فقد جاءت البهائية لتوصي النساء في مجتمعهما - وفي غيره بالطبع - بالتخلل من هذه القيود ، وتطالسب باطلاقهن من كل معايير الاخلاق والعفة . . .

والمتتبعون لتاريخ البهائية والبابية من قبلها يعلمون جيداً طبيعة الدور القدر الذي نهضت به الغانية الشهيرة المسماة « زرين تاج » أي ذات الشعر الذهبي ، والتي لقبها استاذها « كاظم الرشتي » بلقب « غرة العين وفرح الفؤاد » .

وقفت هذه المرأة في مؤتمر « بدشت » سنة ١٢٦١ هـ سنة ١٨٤٨ م سافرة متبرجة لتقول لبنات جنسها وللرجال معهن :

« مزقوا هذا الحجاب القائل بينكم وبين نسائكم ، بأن تشاركوهن الاعمال وتقاسموهن الافعال ، ثم تقول :

« واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة الى الجلوة ، فما هن الا زهرة الحياة الدنيا ، وان الزهرة لا بد من قطفها وشمها لانها خلقت للنسم .

« ولا ينبغي أن يحد شاموها بالكيف والكم ، فالزهرة تجنى وتقطف وللحجاب تدى وتتحف (١)

وتقول في خطبة أخرى لها :

« ايها الناس : ان أحكام الشريعة الاولى - تعنى الاسلام - قد نسخت ، وان الشريعة الثانية لم تصل اليها ، فنحن الان في زمن لانكليف فيه بشيء » .

ومنلا : اذا كان الفران الكريم يقطع بتحريف النصارى واليهود للتوراة والانجيل فى مثل قوله سبحانه :

« قويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، قويل لهم مما كتبت أيديهم وقويل لهم مما يكسبون (١) »

وقوله سبحانه :

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه (٢) »

اذا كان هذا رأى القرآن فسان البهائية تفتى بنقيض ذلك ، ويقول الميرزا حسين فى كتابه «الايقان» :

« ان التوراة والانجيل لم يدخل عليهما التبديل والتحريف » .

• * •

ومنلا اذا كان الفران الكريم يقرر ان المسيح لم يقتل ولم يصلب بمثل قول الحق سبحانه :

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (٣) »

اذا كان القرآن يقرر ذلك فسان البهائيين يقررون نقيضه فيقول عبد البهاء :

« ولما أشرقت كلمة الله من أوج الجلال بحكمة الحق المتعال فى عالم الجسد ، اعتدى عليها فى الجسد اذ وقعت فى أيدي اليهود أسيرة لكل ظلم وجهول ، وانتهى الامر بالصلب (٤) »

• ● •

١ البقرة ٧٩

٢ النساء ٤٦

٣ النساء ١٥٧ - ١٥٨

٤ «مناوشات عبد البهاء» ص ١٠٢-١٠١ عن كتاب «حقيقة الباطنية واللاهائية» ص ١٥٩

هذا الى قولهم الصريح بمزاعم النصارى عن تأليه المسيح وما يتصل بها من دعاوى ، وهذا كان التمسك أو الخلاصة المحتومة لطبيعة العلاقة التآمرية بين هذه الحركة ونظائرها وبين القوى الصليبية والصهيونية المتآمرة على الاسلام ..

ويظهر هذا فى تدخل الدولتين الروسية والبريطانية لاجراج ميرزا البهائيين من سجنه بعد كشف مؤامراتهم على حياة الشاه ، تسم الاكتفاء بنفيه الى بغداد فسسى أول المحرم ١٢٦٩ (١) ، ثم ترحيله بعد ذلك الى «عكا» حيث قضى فيها بقية عمره الى أن هلك فيها ودفن بها سنة ١٨٩٢ م

وكانت فترة الإقامة الطويلة فسسى «عكا» هي فترة الاحتضان اليهودى الكامل للبهائية تخطيطا وتنفيذا.

وهنا يظهر الدور المخزى لهذه الفئة المتآمرة ضد مقدسات الاسلام والمسلمين لصالح الصهيونية العالمية والذي يكشف عنه بأقصى وضوح قول «عبد البهاء» :

« وفى تلك الدورة سيجتمع بنو اسرائيل فى الارض المقدسة ، وتكون أمة اليهود التى تفرقت فى الشرق والرب مجتمعة » .
ثم يقول مزكيا هجرة اليهود وادواغتصابهم لارض الشعب الفلسطينى وحقوقه :

« فانظروا الآن نأتى طوائف اليهود الى الارض المقدسة ، ويمتلكون الاراضى والقرى ويسكنون فيها ، ويزدادون تدريجيا الى ان تصير فلسطين جميعا وطنا لهم (٢) »



بل لقد بالغ البهائيون فى ارتداء ثياب العمالة لليهود الى حد دعوتهم الى انضمام جميع الاديان تحت ظل اليهودية ، وفى هذا نطالع فقرة من بيان جبهة علماء الازهر تقول فيه :
« ولقد تزلف البهائيون الى اليهود وما لاوهم على العرب والمسلمين ، وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطننا قوميا لهم .. »

١ - المصدر السابق ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

٢ - «مفاوضات عبد البهاء» ص ٥٩ عن الفصل القيم عن علاقة البهائية باليهودية العالية فى كتاب « حقيقة البابية والبهائية » ص ١٨٩

ويضيف البيان :

« وقال طاغيتهم — عبد البهاء — واسمه عباس — انه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ، ويجمعهم على نوااميس موسى عليه السلام الذى يؤمنون به جميعا ، ومعنى هذا أنه يريد تهويد المسلمين والنصارى ، وان يجعل اليهودية هى الدين السائد فى الارض وبذلك يكون السلطان فى العالم كله لليهود وحدهم » .

• ★ •

ان ما عرضنا له من تاريخ هذه الحركات الهدامة يقطع بوضوح لا مجال للشك فيه بأن دورهم فى مخطط الغزو الفكرى هو دور العمالة والخيانة ، وكسر وحدة الصف الاسلامى واشغال المسلمين عن خطر عدوهم بجعل باسهم بينهم ، وهذا — من وجهة نظر الغزاة — هو المطلوب كما يقول أهل الرياضة .

سادسا : التسلل تحت شعارات خادعة •

أعداء الاسلام يحاولون حصاره بكل الوسائل ، فلأن لم تنفع واحدة فربما نفعت الاخرى واذا لم تكن المواجهة الصريحة مفيدة فهناك التسلل بشتى الوسائل ، ولقد أشرنا قبل الى ايمانهم فى العمل بنظرية « حصان طروادة » وتعنى دخول معسكرات المسلمين داخل أقنعة وسواتر ..

وفى هذا المجال شهد العالم الاسلامى غزو مجموعة من المنظمات العالمية المعادية وهى تحاول التسلل الى أمة المسلمين تحت شعارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله الخراب ..

مثل ..

« جماعة التسليح الخلقى » و « جمعية اخوان الحرية » و « بيوت الشباب العالمية » و « أنصار السلام » و « نادى الروتارى » وغيرها ..
• وفى قمتها وأخطرها جميعا « الحركة الماسونية » •

ومن الواجب قبل المضى فى الحديث عن هذه المنظمات من خلال الحديث

عن أشهرها وأخطرها وهو التنظيم الماسوني ، يجدر بنا أن نوضح
للقارئ الكريم أن منهج العمل وخطته في هذه المنظمات جميعا لا تقوم
على أساس أخلاقي ، بل ان محور التوجيه والانضاع والسيطرة فيها
جميعا محور غير أخلاقي ، وشعار الحركة فيها هو الشعار الماكيافيلي
المشهور « الغاية تبرر الوسيلة » . بل ان في بروتوكولات حكماء صهيون
ما يقرر هذا صراحة حيث جاء في البروتوكول الاول :

« ان الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا - ونحن نضع خططنا - ألا نلتفت
الى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت الى ما هو ضروري ومفيد » .

واذا كانت الاخلاقيات والقيم لا اعتبار لها مطلقا عند هؤلاء فينبغي
العلم بأنهم - من أجل أهدافهم - لا يتركون طريقا - مهما كان غير
شريف - الا ومضوا فيسسه . فالجاسوسية والرشوة والاعراء بالمال
والنساء ، وأخيرا الارهاب والعنف كلها وسائل متروعة لديهم فسي
تأسس هذه المنظمات التي يخدعون بها « المغفلين » على حد تعبيرهم
عن غير اليهود (١)

• * •

ومن ناحية أخرى فلان الهدف الأساسي للحركة « الماسونية »
ولقروها نواياها هو هدم الروح الدينية والقضاء تماما على عاطفة
الدين بين الناس جميعا . . .

وعندما عقدت « الماسونية » مؤتمر المنسرق الاعظم « سنة ١٩٢٣ م وقف
رئيس المؤتمر ليقول مانصه

« بحسب سحق عدونا الازلي ، الذي « هو الدين » مع ازالة رجاله » .
« ان رجال الدين يحاولون عن طريقه السيطرة على أمور الدنيا .
وعلينا ألا نألوا جهدا في التمسك بفكرة « حرية العقيدة » . والا
نتردد في شن الحرب على كافة الاديان ، لانها العدو الحقيقي
للإنسانية (١٩) ولانها السبب فسي التطاحن بين الافراد والألأم عبس
التاريخ » .

١ - انظر ص ١٠٢ من بروتوكولات صهيون . ترجمة : التونسي

« لابد لنا أن نكادح بجهد أكبر لإدامة القوانين والانظمة اللادينية ، لان السلطة المطلقة التي تصنعها رجال الدين على وجه المعمورة قد قاربت النهاية ، لا بل آلت السى الزوال ، وإن غايتنا قبل كل شىء هى إبادة الاديان جميعا (١) »

• * •

ولعل هذا ما يجعل هذه المنظمات جميعا تطلب الى المشترك فيها أن يخلع عقيدته خارج الباب قبل أن يدخل !

ذلك لان الدين الحق ، هو العاصم الاول والاخير من التورط فى مثل هذه المخططات مهما تكن ضراوتها ، ومن المحال أن ننجح محاولات الغزو الفكرى ولو استخدمت وسائل الشياطين والجن فى تحريف الموقف الفكرى لانسان يعمر قلبه بنسور العقيدة ، ويستنير فكره بالفهم الصحيح لشريعة الله ..

وكل الذين سقطوا فى حبال التنظيمات الغازية ، أناهم العدو من نقطة الضعف فى التكوين الدينى فكرا أو سلوكا ..

ولو تصورنا محفلا ماسونيا بكل جبروته يريد اصطياذ شخص ما ، فالطرق عندهم هى « الرشوة أو الاغراء الحرام بالمال .. وهذا السلاح لابد أن يمسك على صخرة نفس نقية يستحيل على صاحبها أن يمد يده الى حرام ، أو يسمح للحرام ولو كان لقمة من طعام — أن تسقط فى جوفه ..

فاذا دخلوا عليه من باب شهوة الفرج عن طريق الجميلات الفانات فستفسد المحاولة أيضا اذ يواجههم انسان يقض عن الاذى عينه ، ولا يكشف ذيله الا على الطيب الحلال .. وهكذا فى كل الوسائل ، التى لابد أن تتخطم جميعا على صخرة التماسك الذى يصنعه الدين فى النفوس ، ويعصمها من الانهيارات ..

وعندئذ ربما لجأ الغازون السى التهديد بالعنف أو ممارسته بالفعل وفى هذه الحال تطيش السهام أيضا لان الرجل المتدين لا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولا يقعد به العذاب ، ولو باغ مثل ما نزل بأصحاب الاخدود — عن الصدع بكلمة الحق والتأبى على الباطل .

وحتى لو نالته قوة الغلبة واستطاعوا قتله مثلا فلن يكون عليه من بأس لأنه سيلقى الله وعلى صدره وسام شهيد ..

الدين اذن هو العاصم الاوحد من السقوط في حبائل الغزاة .. وليس من وقاء غيره ، وكل السياجات النى تقام بعد ذلك من الوعى ، أو التبصر أو سعة الافق وما اليها انما هى تفاصيل وفروع للاساس الاكبر الذى يتم عنده الامان وهو الاعتصام بالدين .

ومن هنا كان من الطبيعى أن تعلن الماسونية كمسا أعلنت البروتوكولات حرصها الشديد على تحطيم الاديان ونزع قداستها من النفوس لان تحطيمها بمثابة تحطيم القوة الاساسية فى أى جيش وعندها يتم الاستسلام .. والانهيال ..

وربما كانت لنا وقفة عند اساليب الغزاة فى تحطيم روح التدين ولنعد ثانية الى حديث الماسونية وسأحاول اجماله فى نقاط

• * •

أولا : ترفع الماسونية شعار التسامح ، واحترام الغير بصرف النظر عن نوع عقيدته .. والتسامح المطلوب هنا من أعرب الانواع . . .
لانه تسامح الضعيف مع القوى وليس بالعكس .. أى هم يريدون أن نتسامح معهم حين يفزون أفكارنا ، ويشوهون عقيدتنا .. وأى مقاومة من جانبنا تعتبر - فى هذه الحال - تعصبا وضيق أفق وعدم تسامح !؟
ولست بحاجة الى الحديث عن التسامح الاصيل الذى مارسه المسلمون مع عدوهم ، والذى زاد عن حده حتى تمكن الاشرار من الغزاة والمخربين من استغلاله اسوأ استغلال

والفرق الحقيقى بين التسامح والتعصب هو الفرق بين موقفنا مما هو حق وما هو باطل من ناحية وبين الامور الشخصية وحقوق العقيدة من ناحية ثانية ..

ففى الامور الشخصية التمسى لا تشكل خطرا على الامة أو على دينها يمكن للفرد أن يتسامح ، وهو فى هذه الحال يكون فى مقام العفو أكثر منه فى مقام التسامح .. لانه ينزل عن حق خاص بشخصه ..

أما حين يكون الامر أمر العقيدة أو امر الصالح العام للامة لجماعة المسلمين فهنا يصبح التسامح لا غفلة فحسب بل هو جريمة كبرى وخيانة لله ورسوله ولعامة المسلمين ..

التسامح فى هذه الحال مثل تسامح الحرس فى جيش فى قلب معركة لفريق مسلح من جنود العدو بأن يدخلوا الى معسكرنا ويمارسوا فيه القتل والتخريب ، ثم يؤذن لهم أن يخرجوا كما دخلوا بسلام ..
ان هذا تسامح الخونة .. بل تسامح المغفلين والاغبياء اذا أحسننا الظن ..

• * •

ثانيا : ترفع الماسونية شعار « الحرية والاخاء والمساواة » وتزعم أنه دستورها الذى لا يتبدل وهذا الشعار ، ذو مكانة ملحوظة فى بروتوكولات حكماء صهيون ، وهو يمثل واحدا من شعارات الخديعة التى قررت أساسا للعمل كما نص البروتوكول الاول : « يجب أن يكون شعارنا : كل وسائل العنف وكل وسائل الخديعة » .

وكل شعوب العالم تعرف معنى الزيف البالغ فى شعار « الحرية والاخاء والمساواة » الذى سلبه شعار « العنف » كل حقيقة، وحل محله عندهم فى كل التطبيقات شعار « الحق للقوة » .

لست بحاجة لان أفصح هذا الزيف لأنه واقع ملموس فى كل ألوان التعامل السياسى بين الاقوياء والمستضعفين فى شتى انحاء العالم .. حتى هذه الساعة .

وانما يعيننى ابراز الصلة بين الشعار الماسونى وأصله الصهيونى، وذلك من واقع ما جاء فى البروتوكولات
يقول البروتوكول الاول :

« ان مبادئنا فى مثل قوة وسائلنا التى نعدّها لتنفيذها .. وحسبنا ان يعلم عنا أننا صارمون فى كبسح كل تمرد .. »

« كذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس « الحرية والاخاء والمساواة » كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعارات . وقد حرمت بتردادها العالم من نجاحه ، وحرمت الفرد من حريته الحقيقية الشخصية ، التى كانت من قبل مصنوعة من أن تخنقها السفلة . »

تم يقول :

« ان صيحتنا : الحرية والمساواة والاخاء » قد جذبت الى صفوفنا

فرقا كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المخفيين . وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نقسوة بينما كانت هذه الكلمات - منسل كنير من الدبدان - نلتهم سعادة المسيحيين . وتحطم سلامهم واستقرارهم ووحدتهم ، محطمة بذلك أسس الدول . »

• * •

ثالثا : تزعم الماسونية أنها منظمة هدفها بناء الانسان الحر بعيدا عن قضايا السياسة والدين . .

لكن الحقيقة الصارخة التي تعلن - بصفة خاصة - على أعضائها المنتمين الى محافلها السرية تثبت عكس ذلك

حيث تقول نثرة المشرق الاعظم الفرنسى سنة ١٨٨٦ م :
« كنا ندعى أنه لا علاقة لنا مع السياسة والدين . . هل كان هذا خداعا ؟

« الحقيقة أن خشيتنا من مطاردة قوى البوليس ومن القوانين تضطربنا الى اخفاء مقاصدنا

» نعم : نحن نشتغل بالسياسة وبالسياسة فقط في محافلنا ، لا : بل بالسياسة العليا . وأكثر من . . .

أن المحافل الماسونية تجنبد أعضائها . . مهما تكن أوضاعهم الاجتماعية فى أممهم - ليصبحوا فى النهاية عيونا للماسونية ومنفذين - خونة - لاهدافها بين شعوبهم .

ومن أجل هذا فإن الماسونية تساعد المنحرفين فى محافلها الى الوصول للمناصب الحساسة فى دولهم ليكونوا فى خدمة أهدافها . .
جاء فى كتاب « أسرار الماسونية » عن مؤتمر المحافل الماسونية سنة ١٨٨٤ م ما نصه :

يجب على الماسونيين الذين بينهم زمام الأمور أن يأتوا بالماسونيين الى دست الحكم ، وأن يقربوهم من كراسيه وأن يكثروا من عدددهم فيه . »

ويقول المصدر نفسه :

« في وضع الماسوني أن يكون مواطناً (١) ١٩ على أن يكون ماسونياً قبل كل شيء .. وفي رسعته بعد ذلك (أي بعد أن يكون ولاؤه للماسونية) أن يكون موظفاً أو نائباً أو رئيس جمهورية ، لكن عليه أن يستلهم دائماً الأفكار الماسونية .



« ومهما علت مكانته الاجتماعية فإنه يستوحى مفاهيمه من المحفل الماسوني لا من مكانه .

وقد مارست الماسونية دورها هذا على نحو تطبيقي في النهيـد للنهضة البلشفية في روسيا ، وكان « ماركس » فيلسوف الشيوعية أحد أعضاء المحافل الماسونية العاملين .. وحتى في هذا تتفق أفكارا وتطبيقا وأهدافا مع الحركة الصهيونية العالمية ..

وفي بيان المشرق الأعظم الفرنسي سنة ١٩٠٤ م يرد ما نصه :
« أن الماركسية والاقومية هما وليدنا الماسونية (سبق تحديده العلاقة نفسها مع بروتوكولات صهيون) لأن مؤسسها كارل ماركس وإنجلز هما من ماسونتي الدرجة الخامسة والثلاثين ومن منتسبي المحفل الانجليزي ، وإنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية ، وبفضلها صدر البيان الشيوعي المشهور » ..



رابعاً : لما كانت وجهتنا في هذا البحث هي رصد الجوانب الفكرية من تحركات الغزاة فلن أتابع النشاط الماسوني الا في الاطار المثقف ومنهج البحث ..

وعلى هذا يمكن رصد الدور التخريبي الفكري للماسونية في النقاط التالية :

• رزعنة الثقة في الأديان تحت الشعار الزائف لحرية العقيدة، وقد أشرنا إلى مدى الخطر الخطير في هذا الجانب .

وقضية الدين - من وجهة النظر الاسلامية - ليست قضية طقوس

١ - انظر كيف اتصرف الماسونية في اتباعها وكانهم عبدة ربلا الذي شخصية أو ارادة ، وأن المنتسب اليها يفقد كل حقوقه حتى يصبح حق الولاء للوطن منه تجود بها عليه الماسونية .. ومع هذا الماسونية عندهم قبل الولاء للوطن ..

أو مراسيم عبادات كما هي عند غيرنا وإنما هي قضية الحياة أو الموت ، ومن الزاوية الفكرية الخالصة هي أساس قضايانا جميعا على اعتبار أن موقفنا الدينى هو موقفنا من تصور الكون والحياة ، ومن ثم هو موقفنا الفكرى من الكون والحياة وطبيعة دورنا فيهما .. الدين عندنا هو الفكر .

تعتمد الماسونية على السريسة المطلقة ، وأعظم تعاليمها تتم على نهج شفقى ..

ولو كانت فكرا بناء لاعلمنا أصحابه عنه دون حذر . ولقد موه الى الناس بوضوح ليفارع غيره من الافكار فاما أن ينبت أو يزول ..
● تعتمد الماسونية على السريسة « دنيوية » تهدف الى رفعة أعضائها فى الدنيا ..

وهذا من وجهة نظرنا الاسلامية موقف تخريبي فكرى ، فالدينا والدين عندنا وحدة لا انفصام بينها والرفعة فى الدنيا — من وجهة نظرنا الاسلامى — يجب أن تتم فى إطار التشريع وفى حراسة الروح المتدين ● نعتبر الماسونية نفسها اتفاقية محافلها بدعى أن الماسونى يجب أن يكون حرا ؟

وهذه محاولة خبيثة لفصل قضية الحرية عن قضية الدين .. وهما عندنا نحن المسلمين قضية واحدة وأساس شريعتنا هو تحرير الانسان من كل الطواغيت والقوى وعوامل القهر الارضى التى تحول بين الانسان وبين معرفة خالقه من جهة وتحول بينه وبين دوره الرفيع فى قيسادة الحياة والارتقاء بمستواه البشرى من ناحية ثانية .

● لا تقبل الماسونية المتدينين فى الى محافلها الى أجهزة الحكم والقيادة بعد أن تضمن ولاعهم لها قبل ولائهم لمعتقداتهم ولاوطانهم ..

ومعنى هذا من الزاوية الفكرية — احداث زلزال فى نوع القيم التنظيمية التى ينبغى أن يكون عليهما من يتصدرون الحياة ويلون أمر الناس ، فالاصل فى أهلية الراعى لتولى الرعية هو أن يكون صالحا بالمقاييس التى حددها الاسلام ، وهى وحدها التى تضمن الاستقامة والعدل أما — مع الماسونية — فلا يلى أمر الناس الا الخونة والعملاء .. وحديثك بهذا امر كارثة !؟

• تهدف الماسونية الى تكوين حكومة لاتعرف الله ..

وقد جرب العالم - على الطبيعة - هذه الحكومة فى التجربة الشيوعية الكبرى فى الاتحاد السوفييتى وتبين فيها بوضوح مدى التخريب الفكرى الذى تحول به الانسان من آدميته التى كرمه بها خالقه سبحانه الى حيوان ذى معدة وفرج وحسبه - فى ظل الشيوعية - أن يصل الى اشباعهما وليس له بعد ذلك الا أن يعمل مسخرا للانتاج ، كما تعيش الدواب وحسبك بهذا ردة الى عصور الغاب فيما قبل الشرائع والرسالات

● وتعتبر الماسونية أن نضالها ضد الدين لا يبلغ غايته الا بفصل الدين عن الدولة . .

واذا جاز هذا مع غير شريعتنا فهو عندنا نحن المسلمين مرفوض مرفوض ، فالدين عندنا هو الدولة والعامل المخلص لعمله فى أى موقع كأنه فى صلاة، وعندنا لا منافاة على الاطلاق بين السلوكين الدنى والدينى . .

وأفضل الجهاد - فى شريعتنا كلمة حق عند سلطان جائر . . والرجل شريعتنا يتقرب الى ربه وينال ثوبته حين ينفق على أهل بيته وحين يطعم زوجته من كسبه الحلال - بل أنه يمارس تدنيه فى اللحظة التى يعاشر فيها زوجته متى قصد بذلك أن يعفها ويعف نفسه . . فلا انفصام بين الدين والدولة عندنا على الاطلاق . .

● تنكر الماسونية حق الآباء على أولادهم فى التوجيه والطاعة والرعاية . . وتدعو الى نقض هذه السلطة وتحويلها الى المحافل الماسونية . .

وهذا الحق - ليس تسلطا - كما يصورونه ، وانما هو الرعاية والولاية وحسن الاسوة ، وليس على اطلاقه - فى الاسلام - بدليل أن الاب حين ينحرف ويضل لا تكون له طاعة « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » . . (١)

أما فى الاحوال العادية فالاحسان الى الوالدين قرين عبادة الله : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » (٢)

وبهذا التواد والاحسان تستشعر الاسرة الانسانية طعم الحنو والتعاطف الذى هو من فطرة الانسان فاذا اهدرت هذه العلاقة فمعناها - فكريا - التدنى بالانسان الى ما هو أسوأ من الحيوان . .

✱ ● ✱

ولعل أهم ما نختم به هذا الحديث عن « الماسونية » باعتبارها أنشط
الجميعيات التي ينشئها الغزاة لتخريب فكرنا من الداخل هو ما جاء مستفيضاً
عنها في البروتوكول الخامس عشر الذي يحدد طبيعة دورها في حركة
الغزو اليهودي للفكر البشري، وخططها البشعة في التكتيك والتخريب، كما
يبين نوع الاناس الذي ينخدعون بها وحالات الضعف والتمسزق النفسى
التي توقعهم في حبالها حيث يقول ما نصه : (١)

« اننا كنا الشعب الوحيد الذى يوجه المشروعات الماسونية ، ونحن
الشعب الوحيد الذى يعرف كيف يوجهها ، ونحن نعرف الهدف الاخير
لكل عمل نقوم به . على حين أن الاميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم
الاشياء الخاصة بالماسونية .

وهم بغامة لا يفكرون الا فى المنافع الوقتية العاجلة ، وبكتفون
بما يرضى غرورهم ، ولا يفتنون الى أن الفكرة الاصلية لم تكن فكرتهم
بل نحن انفسنا الذين أوحينا اليهم بها .

« والاميون يبحنون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ،
ونحن نوزعها جزافا بلا تحفظ ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكى نوجه
لخدمتنا كل من تملكهم مشاعر الغرور ، وبمن يتشربون أفكارنا عن
غفلة واثقين بأنهم هم أصحاب الاراء

سنتركهم يركبون فى أحلامهم على حصان الآمال العقيمة لتحطيم الفردية
الانسانية بالأفكار الرمزية لمبدأ الجماعية ١٩

« انهم لم يفهموا بعد ، ولن يفهموا أن هذا الحلم - يعنى حلم العيش
تحت مبدأ الجماعية - متناقض لقانون الطبيعة الاساسى . الذى على أساسه
خلق كل كائن مختلفا عن كل مساعداه ١٩»

أما النهاية اللائقة التي يدخرها اليهود لأعضاء المحافظ الماسونية من
الاميين (غير اليهود) فهي النهاية اللائقة جدا بكل مغفل أو مخدوع
تغيره الامانى الجوف من شهرة أو منصب أو غيرهما فيقدم عنقه لسكين
الجزار من حيث لا يدري . .

يقول البروتوكول الخامس عشر :
« اننا سنقدم الماسون الاحرار الى الموت بأسلوب لا يستطيع معه أحد -

الاخوة (يعنى شركاء الجريمة) -أن يرتابوا أدنى ربة فى الحقيقة ،
بل ان الضحايا أنفسهم لن يرتابوا فيها سلفا * *
« وبمثل هذه الوسائل نستأصل جذور الاحتجاج نفسها ضد أوامرنا
فى المجال الذى يهتم به الماسسون الاحرار ١٩

• * •

سابعاً : التعبئة الاعلامية المركزة للفكرى الغازى

ولقد نسائل أنفسنا بعد كل ماسبق :
كيف يستطيع الغزاة خداعنا عن أنفسنا على هذا النحو المذهل، الذى
نبدو معه وكأننا بلا أفئدة أو كأننا نواجه المخاطر بأعين معصوبة ؟
كيف ..

وجوابنا على هذا التساؤل الذى نراه خطيراً :
أن القوم يسировون فى غزوهم لافكارنا وفق مخطط مدروس نقحته
مئات التجارب وجعلته أشبه بالحقائق العلمية المطردة . .
وأول معالم الطريق عندهم هو محاولة الفهم العميق للانسان الذى
هو موضوع الغزو . والتعرف على جوانب القوة وجوانب الضعف فى
شخصه . وأى الطرق يكون أسرع الى قلبه وأيها يكون أكثر استحواذاً
عليه .

والانسان الذى اهتم به الغزاة أولاً هو الفرد فى مختلف مراحل
تطوره منذ الشباب . . بل منذ الطفولة الى نهاية العمر . . وفى كل
مرحلة منها يحاول الغزاة أن يحاصروه من كل اتجاه من المنزل الى المدرسة
الى النادى الرياضى الى ملتقيات الفكر والثقافة والفن ، الى ميادين التنافس
فى المباريات والرحلات ومعسكرات الكشف الى مكتبه الذى يعمل به ،
الى جامعته التى يدرس بها . . وغير ذلك . .

بل ان هذا الحصار للانسان ليجاوز الخارج فينفذ الى أعماق
النفس بحثاً عما فيه من غفلة وسذاجة ، أو من غرور وطموح ، أو
من صلابة وعناد أو ميل الى المال أو النساء ، أو السطوة ، أو الشهرة
.. وما إليها ومن دراسة هذا كله يبدأ التخطيط الملائم لكل حالة . .

وثانى معالم الطريق عندهم قوامها الاعتقاد العجيب - والصحيح - بأن
كل انسان يمكن أن يؤتى ويتسلم اخضاعه الا صاحب الدين والعقيدة

القوية ، ومن ثم يعتبرون أهل الدين في كل مكان أعداء أعدائهم ، وحسين يتعاملون معهم لا يواجهونهم بأسلوب مباشر أبدا ، وإنما بمحاولة أغراقهم في طوفان من فساد المجتمع السذي يحيط بهم حتى يصبحوا مشلولي الحركة عاجزين عن التأثير . . . والادارة من حولهم بشكل آخر يستخرون فيه قوة السلطان أو قوة الارهاب والبطش للتخلص منهم .

وثالث ما ينطلقون منه في تحركاتهم ايمانهم غير المحدود بأن الاصفـر الرنان - على حد تعبيرهم - وهو الذهب يمكن أن يفعل المعجزات وهو العصب الذزم في حالي الهجوم والدفاع ومن يمتلكه يمتلك كل أسباب القوة ، ومن هذه الناحية كان مخططهم الذي نجحوا فيه هو الاستحواذ على المال ، وقد أثبتت لهم التجارب الضخمة كيف استطاعوا التأثير به . . . وخاصة في التجربة الكبيرة الشهيرة ، تجربة تقويض القيصريّة الروسية واستعال نيران الثورة البلشفية . .

ولو نظرنا فيما سبقت الاشارة اليه لا يمكن اعتباره من « امكانيات العمل » . . لكن أولى الخطوات في التحرك الغازي تعتمد على الايمان العميق عندهم بدور أجهزة الاعلام .

وقبيل اختراع « الراديو » ثم « التليفزيون » و « التليستار » و الاقمار الصناعية . . قبل هذه جميعا كانت الكلمة المكتوبة وخاصة في الصحافة . . . هي الوسيلة الوحيدة لنقل فكرة الغزاة الى الآخرين ومن ثم كانت خطتهم ضرورة استخدام الكلمة لخدمة هدف معين يحدده « البروتوكول الخامس » في قوله (١) :

« ان المشكلة الرئيسية لحكومتنا (الحكومة الخفية ، العالمية التي يعملون لها) هي : كيف نضف عقول الشعب بالانتقاد وكيف نفقدها قوة الادراك ، التي تخلق نزعة المعارضة ، وكيف نسحر عقول العامة بالكلام الاجوف . . »

ويقول « البروتوكول » :

« يجب علينا أن نتسلط على حكومات الامميين « غير اليهود » بما يقال له « الرأي العام » . . متوسلين بأعظم القوى جميعا وهي الصحافة . . . وانها جميعا لفي أيدينا الا القليل الذي لا نفوذ له ، ولا قيمة يعتد بها »

ويزداد « البروتوكول الثانى عشر » صراحة وتفصيلا لمهمة الصحافة والنشر فى عمليات الغزو الفكرى حيث يقرر ما نصه :

« سنعامل الصحافة على النهج التالى .. » « اننا سنسرجها وسنقودها بلجم حازمة ، وسيكون علينا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى .. » « فلن ينفعنا ان نهيمن على الصحافة الدورية بينما لانزال عرضة لهجمات النشرات والكتب .. »

ثم ينتقل من السيطرة على النشر الى السيطرة على الخبر المنشور عن طريق « وكالات الأنباء » التى يخضعونها لسلطوتهم فيقول ما نصه : « ولن يصل طرف من خبر السى المجتمع من غير أن يمر علينا ، وهذا ما وصلنا اليه فى الوقت الحاضر كما هو واقع » ويقول :

« الادب والصحافة هى أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات .. » « وبهذه الوسيلة سنعطل التأثير السى (١) لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جدا على العقل الانسانى .. » « يجب أن لا يرتأب الشعب أقل ريبة فى هذه الاجراءات ، ولذلك فان الدورية التى ننشرها ستظهر كآنها معارضة لنظراتنا وارائنا فتوحى بذلك الثقة الى القراء »

وبعد حديث طويل عن الاجراءات يكشف « البروتوكول » عن بعض أساليب التأثير بالصحافة فيقول :

« سنكون قادرين على اثارة عقل الشعب وتهدئته .. » « وسنكون قادرين على اقناع الناس أو بلبلتهم ، بطبع أخبار صحيحة أو زائفة ، وننشر الحقائق وما يناقضها ، حسبما يوافق غرضنا . » « وان الاخبار التى سننشرها ستعتمد على الاسلوب الذى يتقبل به الشعب ذلك النوع من الاخبار ، وسنحتاط دائما احتياطا عظيما لجس الارض قبل السير عليها »

١ - يعنى التأثيرات الصحف والاقلام التى تناهض الغزو الفكرى .

ان هذا الكلام يوضح تماما مدى اهتمام الغزاة بدور أجهزة الاعلام والتي بدأت بالكلمة المكتوبة عن طريق الصحافة والنشرات قبل أن تعرف الكلمة المرئية ..

وقد ضلوا - فعلا - الى سيطرة تامة على جميع وسائل الاعلام وأصبح في تأثيرهم في المجتمع الدولي أخطر من تأثير قواهم العسكرية والاقتصادية ..

ولتوضيح مدى النجاح الذي أحرزه اليهود - باعتبارهم أخطر أعدائنا وأخطر غزائنا الفكريين في أن - أضاع أمام القارئ الكرسي - بعض الحقائق البالغة الأهمية لصورة من سيطرتهم على الصحافة في لندن مثلا والتي قررها أحد الباحثين المخلصين (١) وأنقلها ببعض التصرف :

« تجيء الصحافة بعد الذهب الاسترليني مباشرة وهما في قبضة اليهود في بريطانيا . فكانت الصحافة السلاح الفعال الذي أوجده الذهب اليهودي من أجل تحقيق أهداف الحكومة اليهودية المستورة على النحو التالي :

• سيطر اليهود تماما على جريدة التايمز اللندنية منذ انشائها سنة ١٧٨٨ م بواسطة أموال اليهودي « روتشيلد » .

« انشاوا جريدة - الديلي تلجراف - وفي سنة ١٨٥٥ م اشتراها اليهوديان • موزس ليفي ، ليفي لاوسن » .

- سيطروا بطريق مباشر أو غير مباشر على الصحف التالية :

الديلي اكسبريس ، النيوز كرونكل ، الديلي ميل ، الديلي هيرالد ، المانشستر جارديان ، يوركشاير بوست

ايفنج نيوز ، ايفنج استاندارد ، الاويزر ، نيوز أف ذي ورلد ، صنداي تايمز ، صنداي كرونكل ، الايكونوست ، فاينانشال تايمز ، فاينانشال نيوز ، ذي سكوتش ، ذي جرافيكو .

هذا بالإضافة الى خمسين جريدة ومجلة يومية واسبوعية وشهرية

١ - الأستاذ عبد الله التل في كتابه : « خطر اليهودية العالمية على المسيحية والاسلام من ١٨٦ وما بعدهما » نشر دار القلم

يهودية خالصة تحمل أسماء اليهود صراحة ،

ثم يضيف الباحث :

« وسيطر اليهود على وسائل الاعلام الاخرى : الاذاعة والسينما والمسرح والملاهي ، ليؤمنوا من خلالها عملية تدمير أخلاق الشعب وإخراجه من دينه ، وتحويله الى قطيع أعمى يخدم اليهودية العالمية والصهيونية »
ومثل ذلك في فرنسا ، وروسيا .

أما الولايات المتحدة فيمكن اعتبارها - دون مبالغة - مستعمرة يهودية صهيونية .

• ★ •

ويعتمد الغزو الفكري في المجال الاعلامي على المهارات الاتية :

أ - تقديم الاباطيل على انها حقائق ومسلمات :

وهم يفعلون ذلك بجرأة عجيبة ، وقدرة على الاستعلاء بالباطل ليس لها نظير ، يدفعهم الى هذا ايمانهم الذي تزكيه تعاليمهم بان غيرهم من الناس انما هم مغفلون وبهائم « .. ومهما يكن باطلهم مفضوحا تناقضه الوقائع والاحداث فانهم لا يكفون عن متابعة ادعاءاتهم ..

وعلى سبيل المثال : فان قضية « الشيوعية » مع ما هو بديهي من مناهضتها للقطرة ، وشدوذا فان اجهزة الدعاية الغازية ركزت وتركز على أن فيها الخلاص من ظلم الانسان للانسان ، أو انها التي تحمى الطبقة العاملة من سيطرة رأس المال .. مع أن الثابت بالممارسة والتجربة القائمة أن الانسان لستم يظلم في أى نظام كما ظلم فسي التجربة الشيوعية ولم تهدر كرامته كما أهدرت فيها .

ومع هذا يستمر القوم في التبجح ومحاولة اغراء بقية شعوب الارض بممارسة هذه التجربة .

• ★ •

ب - التكرار والتنوع :

بمعنى أن الفكرة التي يسرрадالترويج لها في المجتمع المطمووع في غزوه ، لا تعرض بوجه واحد من وجوه العرض ، وانما تتعدد الطرائق

انظر هذا المعنى الذي يتردد كثيرا في التلمود والبروتوكولات واسرار الماسونية

وتتكرر حتى تنتهي الى احاسدات التأثير المطلوب .

بمعنى أن يبدأ عرض الفكرة في شكلها المجرد ، ثم تعقد بعد ذلك ندوات ولقاءات لشرحها وبيان مزاياها ثم يقوم نموذج « مصنوع » للفكرة في تطبيق بعينه لها . . ثم يكلف أحد الغزاة باعداد دراسة « علمية ١٩ » عنها . ثم تفتعل المناقشات ويجري الحوار . .

ومن ناحية الشكل يتم التنويع أيضا في أساليب الدعاية للفكرة الغازية . . فهي أولا تنشر في كتاب أو في صحيفة . .

ثم تحول الى عرض مشجج عن طريق السينما أو المسرح أو التلفزيون

وفي هذه الوسائل جميعا يكون الهدف واحدا ، وإن تنوعت الزوايا التي يتم من خلالها التناول . .

ج - الاعتماد على بعض مشاعر النقص كشل حاسة النقد والمعارضة

وقد استغل الغزاة هذه النقطة استغلالا خبيثا وواعيا منتهزين فرصة الجزر السياسي وحالة التخلف التي أصابت شعوبنا فأخذوا فسي تقديم صورة « الرجل الأبيض » أو « الخواجا على أنه المنقذ والمخلص » والذي يمكن بالاعتداء به « بسوء المراد . .

ولما كان أكثر الناس - عادة - سطحيين وبسطاء وخاصة في المجتمعات التي تسودها الأمية بمختلف أشكالها . . ولما كان الذين يدركون الحقائق ويعرفون الخصائص الاجتماعية لتطورات الشعوب . . لما كان هؤلاء قلة وتكون - عادة - مغمورة ومنزوبة . .

لذا لم يتردد الغزاة في الامساك « بالثور من قرنيه (١) » وتوجيهه كما يريدون . .

الرجل الأبيض هو القوي والمتفوق : . . وجا أنت ترى بعينيك تفوقه ١٩

أنه يعيش حياته بطريقة غير التي تعيش بها . .

إذا شئت أن ترتقي مثله فأفعل فعله . .

وإذا لم تفعل فانت رجعي . .

١ - التعبير على افسوته اقتبس حرفيا من البروتوكولات . . وهذا بالضبط وصفهم لنا ورايهم فينا .

ماذا ؟

أنت رجعي .. متخلف .. متعفن .. يا للكارثة ؟ كيف تبقى كذلك ؟
قم .. وضع قدميك على الطريق التي نذلك عليها ..
عش حياتك بلا قيود .. بلا هم .. بلا دين .. كن عصريا ..
وتستمر « الاسطوانات » فلسفي الدوران .. والتأثير .. والمستمع لا
يفهم .. والقارئ - مع الاسف - أعمى - وعندئذ تكون الكارثة ،
ويبلغ الغزاة ما يريدون ..

وأحب في هذا المقام أن ألقى حزمة من ضوء على منطقة الظل التي
يختلط الامر فيها على بعض الناس فيخلطون ما بين التطور والتحلل ..
ويتوهم أحدهم أن المعاصرة والتمدن إنما هي في العريضة أو التفلت من
كل الضوابط ، أو في بعض مظهريات معينة في أمور اللباس والمعيشة
والعلاقات الاجتماعية ..

أقول في هذا : ان التطور غير التقليد والتحلل ..

التطور لا يتم أبدا الا من خلال كيان مليء لديه ما ينفق منه ، ولديه
امكانية تقويم واقعة في مواجهة ظروفه ، وبالتفاعل البناء بينهما
يحدث الانتقال - طبيعيا - من وضع الى وضع .

أما التقليد والتحلل فهما سمة الفارغين أفرادا كانوا أم شعوبا ..
المقلد يفعل ما يفعل لانه خاو وأجوف فلا يملك الا أن يستعير ويقلد ..
وهو لفراغه وخوائه يصعب عليه استعارة الشيء النافع ، لان تكاليف
المنفعة دائما أثقل ..

أما التحلل والمظاهر فما أهمونهما ..

• * •

ونحن - من موقع الفكر الاسلامي لا نعادي أي تقدم بل ننشده ونثمنه
ونعمل له .. فهكذا علمنا ديننا .. أما السطحية والتقليد الأعمى ،
وايثار الطريق المحفوف قفط بالشهوات فمصيره عندنا هو النار
سواء في الدنيا أم في الآخرة ..

• * •

ويبقى لنا في ختام هذا البحث الموجز أن نقف أمام نقاط ثلاث ، ذات
صلة بالموضوع ولا يمكن تجاوزها هي .

أ - ممارسة الغزاة لالوان من الضغط السياسي أو الاقتصادي لترويح أفكارهم . .

ب - تجنيد بعض مثقفي المسلمين ممن سبق اتهام تغريبهم لخدمة الفكر الغازي . .

ج - التسلل الى بعض الحكومات لفرض فكر الغزاة . .

أما النقطة الأولى فهي من النقاط الشائكة التي تدخل في أسباب « الضرورات » أحيانا ، فبعض شعوبنا كانت - وربما لا تزال - تعاني من التخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ويضطررها ذلك الى طلب المعونة من الدول الغازية . .

وهنا تقع بين شقي الرحى . . أما الجوع واستمرار التخلف . . واما قبول الفكر مع المعونة . . وغالبا يتم الاستسلام . .

وقد أحسن الغزاة استخدام هذه الحالة وما يزالون . . لكن من فضل الله علينا وعلى الناس أن الظروف الاقتصادية في كثير من بلدان عالمنا الاسلامي أخذت في التحسن مما يكتشفات جديدة لمصادر الثروة فيها أو بحسن الاستخدام الجديد للموجود منها . . وفي ظني أن عامل الزمن يمكن أن يجتاز بنا هذه الحالة . . بحيث لو أغلقنا بقية المنافذ لاستطعنا بالخطيط الواعي أن نقلت من الخطر

ذلك لان المسلمين - والعرب منهم بوصف خاص - يملكون اليوم أهم مصادر الطاقة في العالم وهو البترول كما أن بوسعهم تحقيق الاكتفاء الذاتي انتاجا وتسويقا داخل رقعة الارض الشاسعة التي يسيطرون عليها باستخدام الوسائل العلمية الحديثة . . لكن هذا يحتاج أولا وأخيرا الى منطلق فكري وعقائلي يمكن لهم - كما مكن لاعدائهم من قبل أن يبلقوا الكثير . - وحسبنا أن نشير الى أن للعرب مثلاً أرصدة مالية ضخمة ومذهلة متكدسة في بنوك الاعداء ، ولو وجهت هذه مع الثروة البترولية لصالحنا لتحول الموقف بلا جدال . لان العمى البشري والجغرافي المعادي للخطط الصهيونية في اسيا وافريقيا وغيرها لا يمكن اغفاله .

• * •

أما النقطة الثانية الخاصة بتجنيد بعض مثقفي المسلمين لخدمة الفكر الغازي فهي الخطر الاعظم وفي « بروتوكولات حكماء صهيون »

نصوص صريحة لاستغلال هذه الحالة بل انهم يعتبرونها من أنجح وسائلهم في السيطرة .

وقد مر زمن طويل ونحن نسلم فلذات أكبادنا الى اعدائنا كسبي يصوغوهم كما يشاءون، سواء عن طريق ايقادهم الى الخارج في مرحلة السباب الغض الذي لم تكنمسل حصانته الفكرية والخلقية ، أو عن طريق تعليمهم في مدارس الارساليات ربعات التبشير التي اتسع انتشارها في ديارنا . أو عن طريق اسلام تقليد السياسات التعليمية في ديارنا لا يدى الغزاة مباشرة كتلك الفترة القاسية التي عاشتها بعض بلدان العالم الاسلامي تحت وطأة الاحتلال الاجنبي ، كما كان الحال في «مصر» في الفترة التي تولى فيها القس المتعصب - دوجلاس دنلوب - أمر وزارة المعارف في مصر . . .



والجدير في هذه الحالة أنهما تنقل الاستعمار من الارض الى العقول والقلوب ، ومعروف أن الاستعمار بدأ بجيوش أخف وطأة من الغزو الثقافي ، لان الاول ينظر اليه دائما كعدو ووجوده في الامة يذكى روحها النضالية حتى تخلص منه .

أما استعمار العقول والقلوب فالكارثة فيه إن ضحاياه لا يظنون أنهم مستعمرون ، بل على العكس يفخرون بما بلغوه من ثقافة ، ويدافعون بحماس عن فكرهم الذي هو في الحقيقة فكر الغزاة ، ويأخذون في التمكين له من حيث لا يشعرون .



وتجدر الإشارة هنا الى أنه ليس كل من تعلم في مدارس الارساليات أو ابتعث الى الخارج قد ضلح من أمته . . بل انى أعرف كثيرين تلقوا تعليمهم في قلب معقل الغزاة فدفعهم ذلك الى اتخاذ الموقف المضاد موقف الاعتصام بدينهم وتقاليد أمتهم وكان بعضهم خصوما ومقاتلين أشداء لفكر الغزاة وثقافتهم . . دفاعا عن الذات وعن القيم . . .

لكن المشكلة اما تزال قائمة . . وهي مع خطرهما لا تستعصى على العلاج . . اذ من الممكن تلافيها بالاكثار من الدراسات العليا في جامعاتنا ومعاهدنا ، وعدم التوسع في سياسة الابتعثات الا في التخصصات التي نعتقدها عندنا . . وبحيث يرسل شبابنا الى ديارهم الا بعد أن

يستخصد عوده ، ويتم تكوينه فكريا سلوكا على نحو اسلامي واسع
ومستنير .



اما النفط الخاصة بتسليح الغزاة الى بعض الحكومات الاسلامية ، فهي
أخطرها جميعا وحين يبلغها الغزاة تكون اندارا ببداية الطامة الكبرى .
لان بلوغها معناه وضع جميع امكانيات الدولة وسلطانها لخدمة
الفكر الغازي ، وفي هذه الحالة تتعذر المقاومة الا بانتفاضة عارمة
يقودها جمهور الامة لرفع هذه البلاء ..

والامثلة في هذا لا تكاد تخفى ، ولشئير منها الى يقضى الحكومات
الاسلامية التي اسلمت نفسها لتيارات فكرية هدامة ، واخذت
تمارس في ديارها عمليات استئصال جذور الفكر الاسلامي ومظاهره
بضراوة وجرأة لا يقوى عليها أي غدر ..



واذكر في هذا المقام موقفاً بعينه اذكره التاريخ والعبرة كان بيني
وبين وزير الشباب (أ) عندنا في مصر . حين طلع علينا ذات يوم -
وبلا مناسبة - بتضريح الى جريدة الاخبار القاهرية يطلب فيه قطع
الوشاح مع ترائنا كله ، والتخلص منه باعتباره عقبة في سبيل التقدم .

وكان لي - مع اخريين - شرف الرد عليه وافحامه حتى اضطر الى
الانسحاب والاعتذار على صفحات الجريدة نفسها ..

ولقد طالعت بالأم شديد وأنا اكتب هذا البحث نداء المجلس التأسيسي
لرابطة العالم الاسلامي الموجه الى جمهورية الصومال الشقيقة يناشد
ها فيه ألا تتورط في التبعية للخط الماركسي وأن تبقى على ولائها لدينها
العظيم .. طالعت هذا وكنت أقول : لقد جئنا متأخرين .. لان الغزاة

١ - هو الدكتور صفى الدين أبو العز والذى الطاحت به وبوراكن القوى التي كان
يستند اليها حركة التصحيح المصرية التي قام بها الرئيس السادات في مايو سنة ١٩٧٢
وموقف اخر مع الدكتور المصري الويس عوفى الذي بلغت به القعة ان يتجهج في صحيفة
- الاهرام - على كتابنا الاقدس . وحين بددت عليه رفض « هيكل » رئيس تحرير
الاهرام السابق ان ينشر لي فاختارت احوال حتى نشر الرد في مجلة « آخر ساعة »
المصرية ..

سبقونا • وكان من فضل الله أن تبنت الحكومة الصومالية مواطنين
الخطر وأخذت مشكورة في تعديل موقفها • والاستجابة الى نداء الاخوة •

• ✱ •

ملاحظات حول الموضوع

وقبل أن أختتم هذا الحديث المعجل في أمر الغزو الفكرى أحب
أن أشير الى مجموعة من الملاحظات الهامة :

أولا - هل هذا الغزو الفكرى لا يمكن أن يقاوم ؟

وأجيب - بثقة وتفاؤل : ان مقاومته ممكنة ويسيرة • لا أهون
بهذا من حجم الخطر ، ولكنى أضعه في حجه •

فمن الملاحظ أن أساليب الدعاية المعادية تحاول بذلك خبيثت أن
تصور الغزاة وخاصة الحركة الصهيونية بمشتقاتها • تصورها
بصورة القوى القاهرة التى لا تغلب والتى تخطط وتتحرك وكأن الكون
كله فى قبضتها ، وأنها صانعة كل ما يجرى فى العالم من وراء ستار •

واذا كان فى هذا بعض الحسنى والواقع فإنه ليس دليلا على قوة
العدو بقدر ما هو نتيجة للغفلة الطويلة التى عشناها من قبل
عنصرين عن الفهم الصحيح لحقائق ديننا ومعادينا •

وفى اللحظة التى نحسن فيها البصر بما لدينا ، ونعتز بتراثنا
ورصيدنا الروحي الحافل ، فلن نستطيع الاعداء مهما بذلوا أن ينالوا
منا • أو على أسوأ الاحتمالات لن يبلغوا غاياتهم الا على أشلاء الشهداء
منا •

أقول هذا ، وبين يدي العديد من النماذج الاسلامية الطيبة التى كان
أصحابها يعيشون فى قلب معسكرات الغزاة سنين وسنين ، ومع هذا كان
هؤلاء المخلصون يزددون ثباتا وبقينا كلما ازدادت حملات الغزو
ضراوة من حولهم • بل لقد استطاع بعضهم أن يفسد على الغزاة مخططاتهم
غير مرة ، ويسجل عليهم الاخفاق والتضليل •

وبين عينى قبل هذا تلك التجربة الجماعية الاخيرة التى عاشتها الامة
العربية والاسلامية فى حرب العاشر من رمضان •

فإنها بصرف النظر عن اراء المحللين السياسيين - تعتبر فيما أرى علامة

بارزة مضيئة على أن اقتراب المسلمين من حمى دينهم ، واخذهم بشيء من خلائقه قد أتاح لهم أن يصنعوا تحولات لا يمكن اغفالها في حياتهم وحياة العالم كله من حولهم . ومع اجتماع الاعداء جميعا علينا فسي ساعة العسرة فان الروح الاسلامي الذي كان يسود ويسيطر ، حمانا من الكارثة ، ثم صنع لصالحنا تحولات لو مضينا في متابعتها لافادتنا الكثير .

وهذا ما يؤكد ظني بأن مقاومة الغزاة ممكنة وبمسيرة متى عدنا من جديد الى مصدر قوتنا الاعظم ، وهو الالتزام فكرا وسلوكا بروح ديننا المنتصر البناء .

• * •

ثانيا : هل تفوق عدونا في علوم العصر يقضى بعجزنا عن المقاومة :

لست أرى ذلك . .

لعدة أسباب : أبرزها فيما أعتقد أن الفجوة التي بيننا وبين أعدائنا ليست نتيجة لتخلف خلقى - بكسر الخاء - في طبيعتنا وتكويننا وانما هي حصيلة الغفلة والاهمال عبر قرون طويلة ، ولا أكون من المبالغين اذا أشرت الى ما كان لنا نحن المسلمين من تفوق - في فروع العلم النظرى والتجريبى - يوم كان هؤلاء الاعداء أنفسهم عيالا في ذلك علينا ، وهذا واقع لا ينكره التاريخ ، حتى حين يكتبه المتعصبون ضد الاسلام .

ثم ان من مزايا التفوق العلمى المعاصر أنه جعل العالم كله كأنه مدينة صغيرة يعرف سكانها جميعا بكل ما يجرى فيها ، وهذا يتيح لنا - متى أخذنا الامور بجذ - أن نقف على خطط الاعداء وأن نواجهها بما يصلح لاحتباطها .

كما أن هذا التفوق العلمى المعاصر قد أخضع كل أمور الحياة للتخطيط والدراسة ولسيطرة المناهج العلمية، وأظن هذا مما لا يستعصى على المسلمين أن يمارسوه ويأخذوا به في كل مجال حتى المجال السياسى . . وكل ما نحتاجه أن تكون لدينا العزائم المؤمنة للتخطيط والعمل والمثابرة الواعية .

والى جوار هذا كله تبرز أماننا - الوقائع الحية التى أمكن فيها - غير مرة - الانتصار على العدو ، وهزيمته وفى قمتها جميعا ما حدث من التحولات

الخطيرة في موقف العالم بعد حرب رمضان ، فهذه التحولات التي جمعت القارة الافريقية كلها على موقف واحد ضد الغزاة ، والتي جمعت شمل العرب اجتماعا جديا ومؤثرا لأول مرة . .

هذه كلها تؤكد أن المقاومة ممكنة وأن علوم العصر وحدها ليست السلاح الذي يفهرنا به العدو . لكنه يقهرنا أكثر لأننا الذين نسلم له الحصون .

ثالثا : ماهو دور «التبشير والاستشراق في خطة الغزاة ؟

والحق أن هذين الجانبين ، الاستشراق والتبشير . . يمثلان أهم الركائز أو بتعبير العسكريين يمثلان « الطلائع المبكرة والمؤتسرة في حركة الغزو الفكري في العصر الحديث . . ولولا ضيق المساحة لأفردت لهما حديثا مفصلا .

فبالنسبة لدور الاستشراق يجب أن يكون من المسلمات أن تسعيا وتسعين بالمائة من جهود المستشرقين كانت موجهة لصالح المؤسسات والهيئات والحكومات التي كانت تتولى الانقاق على اعضائها وحمايتهم ومكافأتهم آخر الأمر على ما يتبدلون من جهود . .

والمتصلون بنشاط المستشرقين يعرفون أن أبرز مجالات عملهم كانت تنحصر تقريبا في :

- أ - تحقيق التراث الاسلامي ونشره .
- ب - دراسة اللهجات المحلية للشعوب وللقبائل .
- ج - دراسة العوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المؤثرة في سيرة كل شعب .
- د - دراسة الفرق والنحل والنزعات المختلفة والمتطرفة منها بوصف خاص . . (١)
- هـ - دراسة الحفريات والآثار .

١ - اللوقوف على تفصيل ما اشرت اليه تراجع أعمال المستشرقين في كتاب «المستشرقون» للدكتور نجيب الحقيقي . وكذا فهرس المخطوطات لمعهد المخطوطات بجامعة السور العربية وفهارس دار الكتب المصرية وفهارس المكتبة الظاهرية بدمشق والمجمع العلمي العراقي وكتاب : مع المخطوطات «العربية» لكرانشكوفسكي وغيرهما .

ولقد يقال - للوهلة الاولى - ان تحقيق تراثنا والعناية بدراسة احوال شعوبنا عمل مفيد في التوجيه السياسي والثقافي والترفيهي لها .. وأن المستشرقين يشكرون لانهم اهتموا بتراثنا وأخرجوه من الظلمات الى النور .

وفي هذا بعض الحق من زاوية بعينها هي أنهم حين بدأوا عملهم قد أثاروا فينا حس الاهتمام بهذه التراث والعمل على نشره .. وقدّموا بين أيدينا نماذج لماهتج النشرافاد منها كثيرون من المحققين فيمنّا بعد ..

لكن هذا العمل كان فيه بعض المنفعة وكان فيه قبلها خطر غير يتنيز .

فالملاحظ على اهتمام المستشرقين بالتراث أنه انصب على الجانب الادبي وبعض الجوانب اللغوية مع إغفال تام للجانب العلمي في تراث المسلمين ، وفي هذا تنويم متعمد للروح العلمي الذي كان - ولا يزال - محتاجا الى التاصيل والتنمية .

والملاحظ كذلك أن المستشرقين رضائهم كانوا حريصين على اشعار القارئ المسلم بأن اسلوبهم في التحقيق والتوثيق ، أسلوب غربي ابتكره الاوربيون وتفضلوا به علينا وعلى غيرنا وأغفلوا في ذلك مناهج الباحثين المسلمين .. اغفالا يراود منه نزع الثقة في كفاءة العقلية المسلمة لتحمل أمانة العلم وحاجتها - بعد ذلك - الى متابعة الغربيتين . ولست بحاجة الى أن أذكر بأن مناهج علم الرواية - وخاصة رواية الحديث النبوي الشريف - تعتبر من أدق المناهج الموضوعية التي تميز بها المسلمون وسبقوا بها غيرهم .



فاذا نظرنا الى اهتمام المستشرقين بنوع ما يحققونه وما ينشرونه ألفيناهم يبلغون ذروة العناية بالحرركات الهدامة ، والنزعيات الغريبة ، وبكل المواقف والآراء المثيرة للجدل وللخلاف بين المسلمين فهم متلاحين يبحثون في علوم القرآن .. لا يستوقفهم شيء أكثر مما يستوقفهم الخلاف بين القراءات وما يتصل به من « حديث الاخرق السبعة » وكأنه لا شيء وراء ذلك يثير الاهتمام

حين يدرسون تواريخ العصور الإسلامية يهتمون كثيرا بتاريخ الفتن الإسلامية التي نشبت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وما أدت إليه من فرق ومذاهب ..

بل حين يفرغون لتراجيم الشخصيات تستوقفهم النماذج المريبة الغامضة التي يمكن ان يختلف من حولها الناس ، فهم مثلا يهتمون بحركة « الزنج » و « القرامطة » والحركات الباطنية ، وبشطحات المتصوفين والحلوليين ودعاة وحيدة الوجود وغيرهم كما هو موقفهم من « ابن عربي » و « الحلاج » وغيرهما :



أما دراسة الآثار واللهجات المحلية فالخطر فيهما أن الأولى أريد بهما جذب الشعوب الإسلامية الى اقليمية ضيقة ، وبتر علاقتها التضامنية مع بقية المسلمين ، وليس بعيدا مساترتب على العناية بالانار في مصر من ظهور الدعوة الى « الفرعونية » بدلا من الانضواء تحت لواء الاسلام والعروبة .. وكذا الفينيقيّة والفارسية والاشورية الى آخره ..

وأما موضوع اللهجات المحلية فهو الكارثة المباشرة التي كان هدفها الظاهر في عملية الغزو هو الدعوة الى العامية بدلا من الفصحى اللغة المشتركة بين المسلمين تمهيدا للقضاء على لغة القرآن وعزل المسلم عن قرائه . وأما عن عنايتهم بكتب التصوف وتاريخ المتصوفة فله من الخطر نصيبان : نصيب تغييب العقل الاسلامي عن الواقع اليقظ الذي شطحات وتأملات لا يقدر عليها كل فرد ، وهي مع ذلك ليست بذات غناء في قيادة حركة الحياة .. ومن ناحية ثانية فالمعروف في التصوف أن « كل شيخ له طريقة » ومعنى هذا أن ننحدر دائما الى التجزئية والاختلاف بدلا من التلاقى على درب التوحيد والتضامن ..

فاذا جاوزنا كل ذلك واجهنا الموقف العدائي الصريح من المستشرقين للاسلام ورسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، ولهم في هذا سوءات وسوءات لا مجال لتناولها .. وقد تتاح الفرصة باذن الله لتناول هذا الموضوع كله ذات يوم (١)

١ - كان الفكر الاسلامي الاستاذ محمد قطب قد القى بكلية الشريعة بمكة المكرمة محاضرة عن « المستشرقين والاسلام » فضل فيها الكثير في هذا الموضوع واعتبتها ندوة شارك فيها الدكتور محمد امين المصري والاستاذ محمد المبارك وغيرهما وهي ندوة قيمة في بابها وقد سجلها بعض طلاب الكلية ويمكن الرجوع اليها .

• * •

أما دور التنصير ويسمونه خديعة بالتبشير فانه لا يقل خطرا عن الاستشراق لان الجهد الأول للمبشرين تنصب على قطع الطريق على الاسلام فى المناطق التى كانت البدائية - ولا تزال - غالبية عليها كما هو الحال فى بعض مناطق أفريقيا ..

وإذا كان العمل فى مجال الاستشراق يحتاج الى نوعيات بعينها من الرجال فالعمل فى التنصير أدهى كثيرا .. وهم منذ بعيد قد أحسنوا أعداد دعائهم ومبشريهم لهذه الغاية

وفوق هذا فان جهود الاستشراق تتبناها جمعيات أو تتبناها بعض أجهزة الاستخبارات المختلفة لكن عمليات التنصير تنهض بها دول الغرب جميعا ، ولها فى الفاتيكان دولة ذات امكانيات ونفوذ غيـر محدود ..

ولهذا كله فان التنصير لا يقل خطرا - ان لم يزد - على النشاط الاستشراقى فى مجال الغزو .. لكنه مع كل خطره - محدود النجاح ... وكلما ازداد الوعى وانتشر التعليم والثقافة يات جهد المبشرين غير ذى جدوى الا فى حالتين .. الحالة التى يسقط فيها الضحية سواء كان فردا أم حكومة صريعا للحاجة المادية الملحة .. عندئذ يكون الفقر طريقا الى الكفر كما يقولون ..

والحالة الثانية : عندما يتمكن المنصرون من فتح مدارس للارساليات وتصرح لهم الدول الاسلامية أو غير الاسلامية بذلك - عندئذ لا يسد أن تقع الكارثة لاننا - بأيدينا - نقدم أنفسنا لطوفان الوباء ..

• * •

رابعاً : فساد الاسرة المسلمة :

واقف هنا خاصة أمام سيادة هذه الاسرة وأعنى بها الام .. التى يمكن اذا صلحت أن تكون ذات أثر بناء لا يكاد يحد ..

لكن الملاحظ - مع الاسف الشديد أن الكثرة الساحقة من النساء المسلمات أصبحت الآن فى القبضة الحديدية للغزاة ، يحركونهن ويقودونهن ، دون أدنى مشقة أو عناء ..

ولما كان النساء - وهذا ليس طعنا فيهن - تغريهن المظهرية البراقة
والانصياع للمعواطف .. فقد حرص الغزاة منذ بعيد - على تجنيدهن في
عمليات الغزو تحت شعار التمرد والتحرر ..

وتحررت المرأة - أو قل - تحللت لتصبح أسيرة لدى مصممي
الازياء وصناع العطور واصبغ الوجوه وما إليها .. أعني أصبحت
باختصار سجيئة للمتساع الحسى الغليظ في الحياة .. دون تفكير
أو رؤية .. بل وكثيرا جدا بمبالغة سخيطة في التقليد والتنفيذ .

ولست هنا في مجال محاكمة المرأة المسلمة فهي - في الواقع -
معنى عليها وجانية ، ونحن الرجال مسئولون تماما عن كل ما انحدرت
اليه ، لأننا الذين أهملنا القوافصة التي أمرنا بها الله ..

لكن ما يعنيني أن أنبه الى خطر هذه الناحية التي يجب الانتباه
الشديد اليها باعتبار المرأة عنصرا توجيهيا من أخطر العناصر على
مستقبل الاجيال .. ويمكنها - منذ نعومة أظفار الطفولة أن تصنع جيلا
مسلمنا حصينا بالخلق القويم والفكر السنوي ، ويمكنها غير ذلك .

ومن غير المجدي أن يحاول الدعاة الى الله حماية الشباب المسلم من
الغزو الفكري إذا كان تيار الفساد يخنق الجو الاسرى ويشيع فيه
التحلل والانفلات . من الاخلاقيات والمنزل .

• * •

ولعل من الضروري ان نقف على بعض المظاهر التطبيقية لهذا الغزو ،
بعد ما حاولنا أن نلم بأبعاده من الوجهة الفكرية .

• ● •

صور من نظام الغزو الفكري في مختلف المجالات

في مجال التشكيك في صلاحية الاليس :

في هذا المجال - وأنا أسوق الصورة من الواقع القريب الذي عرفته بلدى : مصر - ظهرت الدعوة الى التشكيك في فكرة «الخلافة» الإسلامية ، وكان قد بدأ حوار من حولها كوسيلة لاستعادة الوحدة الإسلامية ، وخاصة بعدما فطس المفكرون لدور الحركة الصهيونية في إلغاء الخلافة العثمانية ..

وكان الحوار الجديد ينادى بجامعة اسلامية تكون الخلافة على رأسها . عندئذ - وهذا عجيب وغريب - ظهر من يؤلف كتابا عن « الاسلام وأصول الحكم » . يذهب فيه الى أن الخلافة ليست وسيلة اسلامية للحكم .. ١٩٠٠

وكانت لهذا العمل ضجة في مصر قضت على الكتاب وصاحبه .. لكن الفكرة - فكرة الخلافة - قد وئدت هي الاخرى .

• * •

وحين كثرت الدعوة الى استلهاهم تراثنا الثقافي الاسلامي ، واعتباره أهم مرتكزات نهضتنا الحضارية وأيامها كانت الامة العربية لم توشك بعد أن ترفع رأسها وتريد أن تتحسس الطريق الذي تختاره للنهضة بين استلهاهم التراث أو الاندفاع صوب الغرب ..

في هذه الفترة ظهر من يؤلف كتابا عن « الشعر الجاهلي » يترجم فيه آراء المستشرقين الغزاة ، ويشكك ليس في صحة مصادره فحسب ، بل في صحة كثير مما ورد من أخبار الأنبياء ورسول الله السابقين - في القرآن الكريم .

وقامت من حوله - هو الآخر - ضجة فكرية وسياسية - حملت صنيعة الغزاة على أن يلم خطباء وينسحب الى حين - من المعركة ..

لكن الفكرة - فى ذاتها - بقيت أصداؤها قائمة حتى طلع علينا من
يتقدم برسالة الى احدى الجامعات يذهب فيها الى أن « قصص القرآن »
عمل فنى .. وكأنه ليس تنزيلا من لدن حكيم حميد ؟ !

• * •

وحين أخذت مصر تفيق الى دورها الكبير بين شقيقاتها العربيات
والاسلاميات فى أوائل هذا القرن ، ولاحظ الغزاة أن مثل هذا الاتجاء
- لو نجح - يضر بمخططاتهم .. أطلقوا من يؤلف كتابا عن مستقبل
الثقافة فى مصر « ليقول فيه ان علاقات مصر الثقافية والحضارية
بمنطقة حوض البحر الابيض المتوسط - يعنى اليونان والرومان ، وما
يتفرع عنهم شمالا - أوثق وأصق من علاقاتها بالدول العربية ..

ومع أن الكتاب هوجم وعورض .. الا أن الفكرة ظلت قائمة ، حتى جاء
أحد غلاة المبشرين المصريين ليؤلف مسرحية عنوانها « الراهب »
ليسلم فيها مصر من عروبتها ويسقط من تاريخها الحديث القرون
الاربعة عشر التى أظلم فيها لواء الاسلام .. ثم يرد مصر من العصر
الحديث مباشرة الى عهد الفراعنة .. وكان الاسلام الذى بينهما ، والذى
هو الوجه الحق مصر المعاصرة ليس له وجود ..

• * •

فى مجال قطع الطريق على ثقافة القرآن :

فى هذا المجال كان من أبسرها المحاولات تلك الاكذوبة الشهيرة التى
أثيرت طويلا باسم قضية « الفصحى والعامية »

ولا رحم الله مهندس المعمارى الانجليزى « وليام ويلكوكس » الذى
جاء الى مصر ليحاضر سنة ١٨٨٣ م فى موضوع « لماذا لم توجد قوة
الاختراع عند المصريين ؟ » ثم يجيب الجواب العجب .. بأن سر تأخر
المصريين - وطبعا كل العرب - فى هذا المضمار هو أنهم يستخدمون
اللغة العربية الفصحى لغة للعلم والادب وهى لا تصلح لهما ..

ورحم الله حافظ ابراهيم شاعر النيل المصرى الذى أبدع فى هذه
المناسبة قصيدته الشهيرة على لسان اللغة العربية ومطلعها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاني وناديت قومي فاحتسبت حياتي

دمونى بعقم فى الشباب وليتنى عقلت فلم اجزع لقول عداتى
ثم يسجل الهجوم المعادى فى قوله :

أيظربكم من جانب الغرب ناعب ينادى بوادى فى ربيع حياتى
ويرد رده القاطع . .

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به وعظمت
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات 19

وقد راح « ديلكوكس » عن مصروبقى فيها فرح أنطون ، وشبهلى
شميل ، وسلامة موسى ونظراؤهم سم وكلهم - كما نرى - مبشر متعصب
ينساقون بالدعوة الى العالمية ، ويشاركهم فيها بعض المستغربين
من أبناء المسلمين ويمكنون لها فى التمثيل والمسرح والصحافة والاعمال
الادبية حتى أصبحت من مشكلاتنا الزمنة . وتكونت بها عقبة كؤود فى
طريق العودة السليمة الى لغة القرآن . .

• * •

وحين بدأت النهضة فى « احياء التراث » بنشر بعض تفاسير القرآن
وبعض كتب السنة النبوية وما يتصل بهما من كتب اللغة والتاريخ
والكتب الادبية النظيفة . . أبسى الغزاة الا أن يفسدوا المسيرة الطيبة
ويدخلوا عليها بالكتب المحشوة بالمطاحن على رجال الاسلام وعلى أمة
النبي العربى صلى الله عليه وسلم وكان من الملفت للانتباه أن يحظى
كتاب الاصفهانى المعروف « بالاغانى » بما لم يظفر به كتاب من كتب الفكر
الاسلامى الاصيل . فقد نشر أصل الكتاب ثم نشر « مختار الاغانى »
ثم « تجريد الاغانى » ثم « مهذب الاغانى » وكان ثمة قوة قاهرة تصر
على أن يصبح هذا الكتاب بكل ما فيه من حشو وفساد وتحلل - وثيقة
متداولة تنالها كل يد . .

• * •

• فى مجال اخساد الاسرة :

أخرجت المرأة المسلمة اخراجا من حصنها الكريم الكى يلقي بها الى
الطريق باسم التحرر كما أشرنا ووجد الغزاة صنائعهم ليمجسوا
الجريمة ويهللوا لها . .

وتحت شعار التحرر أيضا سحبت ولاية الرجل وقوامته بشيئا فشيئا حتى أصبح في أحيان كثيرة آخر من يعلم بما يجري في محيط أسرته وحسبك بهذا خرابا .

وتحت الشعار ذاته دعا الغزاة علانية لاطلاق حريات الشبيبا ليعيشوا أيامهم - على حد تعبيراتهم ومعنى هذا أن يطربوا ويشربوا ، وينجرفوا ما يشاءوا : وكان هذه هي الحياة ..

وتحت شعار « المودرتزم » مورست كل ألوان الخلاعة والانحلال من كل شيء حتى انحلال من الفطرة ذاتها فإنا رجالا يتشبهون بالنساء وبسوء تشبيه بالرجال ، واختلطت الفوارق في اللبس والزينة والسلوك والمظهر لدى كثيرين حتى بات عزيزا أن تفرق في بعض الجالات بين البنيت والولد ..

والواقع المحيط بنا جميعا يغنى عن الكلام . حتى ليشعر المستمسك ببعض دينه بأنه متبوء أو غريب .

• * •

في مجال التربية والتعليم :

كان الحال في كثير من ذيلار الاسلام - وحتى عهد قريب جدا - يدعو الى العجب ، فالطالب المسليم كان يعرف عن تاريخ الغرب وحضارته وشخصياته وما اليهيا أكثر مما يعرف عن تاريخ أمته أو تاريخ بلده .. وربما كان القصور مما يمكن تداركه .. لكن الكارثة الحقيقية أن كثيرا من حقائق تاريخنا قد شوهت تماما وعرضت من وجهة النظر التي يريدونها الغزاة ..

وأذكر على سبيل المثال تاريخ الخلافة العثمانية التي صورت وكأنه ليس في تاريخها كله نقطة صلاح واحدة .. وهذا ظلم كبير ..

ولكن لان أحد سلاطينها رفض الانصياع للمطامع الصهيونية في فلسطين رغم الاغراء الخطير بالمال ، فقد جوزى بالخلع ، وكان أحد الاربعة الموفدين لابلاغه بالقرار يهوديا ثم تعقبوا تاريخه وتاريخ الخلافة بالتسويه والافتراء ، وقبلنا ذلك منهم على أنه حقائق نضعها كما نؤمر ..

كما أعدت لنا المناهج التربوية لتغرس في عقولنا القيم التي تتفق

ومصالح المستعمرين والغزاة ، ولست انسى ما كنا نلقنه في السنوات الاولى من التعليم في بلدنا مضر من أنها « هبة النيل وهي بلد زراعي لا يصلح للصناعة لعدم وجود الفحم والحديد » ثم دارت الايام وتبين عكس ذلك ، لان الفكر الغازي كان يريد لنا أن نكون بلدا زراعيا نزرع له القطن الذي تنسجه مصانعه ، ثم يبيعنا سوكا له لاستهلاك ما يصنع .

• * •

وقد سبقت الاشارة الى أن العناية باللغة العربية وبالثقافة الاسلامية كانت اضعافا من أن تذكر ، بل كان الاعلاء وتنبية الذكر مقصودين على ما يمثل الفكر الغازي بأى حال فاللغة الانجليزية والفرنسية ومدرساهما يحظيان بالاهتمام من لاطالب وادارة المدرسة والوزارة بما لا تحظى به اللغة العربية أو مادة الدين الاسلامي . الامر الذي عكس انطبعا نفسيا ضارا لدى الكثيرين من منقفيهم واوقفدهم أكثر ولائهم للغة دينهم وتراث أمتهم .

• * •

ولو مضيت أتتبع مظاهر الغزو والوانه لما انتهيت . فقط هي نماذج اضعها بين يدي القارئ الكريم ليقيس عليها أشباهها ، وسيدرك من نفسه أننا محاصرون ، وان من أكبر واجبا أن نكسر هذا الحصار والله يسدد خطانا .

وبعد

فهذه لمحات معجلة عن الغزو والفكر الذي نتعرض له . ولقد سبق أن أشرت الى أنه : مع ضراوة الغزاة . ومع وفرة تجاربهم في التخطيط والتخريب والتسلل . فان أمرهم ليس مما يستعصى على المقاومة والعلاج .

• ● •

واذا كان اليهود في « التلمود » وفي البروتوكولات وفي منشورات المحافل الماسونية وأجهزة الدعاية يتباهون بانهم قوة لا تقهر ليزرعوا اليأس في نفوس المسلمين .

فقد أثبتت الايام أن ذلك باطل .
- وان بالإمكان أن يقهروا .

وفى يقينى أن حرب رمضان كانت نموذجاً لا مكان بلوغ النصر على العدو
.. متى أخذنا للنصر أسبابه ..

ذلك لان قوتنا الحقيقية الكبرى تكمن فى عقيدتنا ..

ومتى انتبهنا اليها وأحسننا الافادة بها فلا بد أن نتصر .. لا أقول هذا
من باب الاندفاع العاطفى ولكن من باب الايمان بما قرره القرآن

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وقوله « ولا تهنسوا ولا
تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » *

من هذا الايمان الذى أكدته التجارب عبر التاريخ ومع كل انتصار
أحرزناه فى بدر والقادسية واليرموك وحطين .. الى أيام رمضان الأخيرة ..
من هذا الايمان أتقده بأن طاقة الانتصار موجودة ومضمونة وهى
العودة الى منابع القوة العقائدية فى كتاب الله وسنة الرسول صلوات
الله عليه ..

• * •

وفى هذا المقام أتصور أن من الممكن مواجهة غزاة الفكر بالاساليب
الآتية :

أولا :

اعادة النظر فى جميع مناهج التعليم فى ديار المسلمين بحيث
تغلق فيها جميع النوافذ التى تهب منها رياح الخطر ، والتى يكون هدفها
الاكبر اعداد المثقف المسلم كما ينبغي أن يكون ..
وفى هذا المقام يجب أن تعنى الجامعات فى بلاد العالم الاسلامى
عناية فائقة بتدريس مادة « الثقافة الاسلامية والمجتمع الاسلامى » وأن
يكون حديث الغزو الفكرى فى صلب مناهج هذه المادة حتى تتفتح الاذهان
والعيون الى مواطن الخطر .. ومن فضل الله أن ثمة أعمالاً علمية
جليلة قد أنتجتها أقلام مسلمين غيورين تعالج هذا الموضوع بشكل
أو باخر (١)

١ - أشير فى هذا الى أعمال الاساتذة ابي الاعلى المودودى و ابي الحسن النيسابورى
والشاهد سيد قطب والاستاذ محمد قطب والاستاذ محمد البارك والاستاذ احمد جال
الدكتور عمر فروخ والدكتور محمد محمد حسين والاستاذ العقاد والاستاذ الراحل
والاستاذ احمد عبد الغفور عطار والاستاذ نور العبدى وغيرهم من الراحلين الذين
لا نعيم ذاكرتى المهلهلة ..

ثانيا : اذا كانت الامم الناهضة تنشئ بين أجهزتها « بادرآت » لمكافحة المخدرات و «لقاطعة بضائع الاعداء »

فقد ان الاوان لتأسيس هيئة على مستوى كبير « لمكافحة الغزو والفكرى » تكون مهمتها الدائمة رصد تحركات الغزاة واتخاذ الوسائل لمواجهةها ، وأن يكون لها من النفوذ والفاعلية ما يعينها على ذلك .
ثالثا :

من الاهمية بمكان أن تنهى حالة تغييب الفكر الاسلامى الاصيل عن مجالات الصراع الدائرة فى الحياة وأن تطرح المبادئ والاسس الاسلامية - بوعى وتفتح - أمام جماهير أممنا حتى لا تجد نفسها مضطرة دائما الى الاستيراد .

رابعا :

من الاهمية بمكان أن تكون لنا وكالة أبناء اسلامية يشرف عليها رجال مخلصون على قدر من النضج الكافى والامام بالتيارات المضطربة على استششاف الخطر المبدوث فيما ينشر من أخبار (١)
خامسا :

لا يقل عن ذلك أهمية أن يكون لنا تخطيط اعلامى اسلامى مستنير يضع الكلمة فى حجمها التوجيهى الصحيح ويحمى عقولنا ومشاعرنا من التحذير والسموم التى يوجهها اليها الغزاة .. مع تقديم البديل الايجابى البناء ..

من الضرورى تحريك الطاقات الادبية المبدعة وتوجيهها لاستلهام تراثنا وتاريخنا الحضارى (٢) ، حتى تعبأ مشاعر جماهيرنا تعبئة اسلامية تكون بمثابة الامصال الواقية ضد الاوبئة الغازية ..
سابعاً :

من الضرورى أن تتضمن أمتنا الاسلامية لتحقيق اكتفاء اقتصادى

١ - الحمد لله ان هذا المقترح سبق ظهور لكتاب وصبح بفضل لله حقيقة قائمة .

٢ - اذكر فى هذه محاولة مشكورة لجريدة « البلاد » السعودية فى الاستفتاء الذى نهضت به فى عام ٩٣ هـ رغبة فى الوصول الى ادب اسلامى كما لا أنسى الدور الكريم الذى نهض به الاديپ الراحل على احمد با كثير ومن قبله « الزاهدى » ونقرأؤهم من المخلصين .

يغنيها عن الحاجة الى الارتقاء في قبضة السيطرة المالية اليهودية
الغازية . . . والى تتخذ معبر السيطرات أخرى على مقدراتنا
السياسية والاجتماعية والفكرية .

وأخيرا :

من الضروري جدا أن يتم التنسيق بين حملة الاقلام الاسلامية وجميع
الهيئات العاملة في حقل الدعوة الاسلامية وتنظيم اللقاءات الدورية
بينها لتابعة حركة الغزو الفكري ورصد تطورات لاتخاذ الخطوات
الواجبة لمواجهة . .

وفي يقيني أن هذه مهمة « الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي » بمكة
المكرمة ، وكذا « الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي » بجدة وهما
معا على المستويين الشعبي والحكومي تستطيعان أن تنهضا بالكثير . .

• ★ •

ان الامر - في تصوري - أكبر من أن يكتب فيه ملي بحثا أو يلقي
عنه محاضرة . . انه يحتاج الى كل الكفايات والاحتشاد الادمق والعقول
فقط . . فان محاضرتي عن هذا الموضوع برابطة العالم الاسلامي
كانت مقدمة لهذا البحث ، ويجب أن تكون مقدمة لآعمال كبار . . فما
أكثر ما تكلمنا . . وما أقل ما نعمل .

والله وحده الهادي الى سواء السبيل ، لكنه - سبحانه - لا يهدي
الا من يعملون له « والذين جاهلوا فينا لنهدينهم سبيلا » .
انه مصير أمة . . ومصير دين .

فان أدينا واجبننا فقد أثبتنا أهليتنا للدور المنوط بنا . . وان
كانت الاخرى فقد أعذر من أنذر . .

« ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا »

مكة المكرمة في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٩٤ هـ

د . عبد الصبور هرزوق
الاستاذ المساعد بجامعة الملك
عبد العزيز

بمكتبة
Bibliotheca Alexandrina



0251692



To: www.al-mostafa.com